جمعية البلاغ الثقافية
Al-Balagh Cultural Association

سلسلة
مشاهير ومجاهيل
(1)

سيرة علماء وشخصيات في الدين والفقه والدعوة والإصلاح

نـورالدين قـلالة

جمعية البلاغ الثقافية

سلسلة
مشاهير ومجاهيل
(1)

سيرة علماء وشخصيات في الدين والفقه والدعوة والإصلاح

إعداد وتحرير
نورالدين قلالة

إدارة التحرير

جمعية البلاغ الثقافية

رقم الإيداع بدار الكتب القطرية:	Legal Deposit No / 2022 / 962
الرقم الدولي (ردمك):	ISBN 9789927152887

جمعية البلاغ الثقافية

الطبعة الأولى
١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م

دار روزا للنشر

تقديـــم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾(المائدة: 67).

لقد حمل رسولنا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم أمانة تبليغ كلمات الله تعالى إلى العالمين لما فيه من هداية وخير للبشرية. وقد أدى صلى الله عليه وسلم الأمانة على أكمل وجه، وترك لنا من الإرث ما ينفعنا دنيا ودينا.

لكن هذا الإرث الذي تركه رسول الله رحمة للعالمين، حمل أمانته في الحقيقة رجال أتقياء معروفون وأخفياء، إذا غابوا لم يُفتقدوا، وإذا حضروا لم يُذكروا في ضوضاء الزحام وبريق الأضواء التي يصعب أن يجاريها علماء أجلاء صدقوا النية مع الله لاستكمال الرسالة وتبليغ كلمة الله على الأرض، فكان القرآن الكريم لهم زادا هيأوه لكل من آمن بالله ورسوله، ومرجعا لمن أراد أن يفهم الدين الإسلامي الحنيف والحضارة الإسلامية.

وكان هدفهم ومشروعهم الذي أوقفوا عليه حياتهم هوتفسير القرآن الكريم أوترجمة معانيه من اللغة العربية إلى اللغات الأجنبية، أوالدفاع عنه في المقامات والمناسبات، فكانوا فتحا جديدا للإسلام، يحفظ كلام الله من كل تحريف، ويتصدى لهجمات كل من يريده بسوء.

لكن هؤلاء العلماء الذين أضاءوا الطريق بنور القرآن، ليسوا وحدهم، ففي هذا العالم رجال ونساء من كل حدب وصوب، ومن كل أصل وثقافة ودين ومجتمع، قدموا للإنسانية أعمالا جليلة في مختلف الثقافات والعلوم، منهم أطباء ومهندسون ومترجمون وقضاة ومؤرخون ورحالة ومكتشفون وفلاسفة وأدباء.. وهؤلاء كلهم أوبعضهم، هم "مشاهير" لدى فئة من الناس و"مجاهيل" لدى فئات أخرى.

في هذا الكتاب، ارتأينا أن نوقد شموع هؤلاء المشاهير والمجاهيل على طريق المعرفة لإنارة أذهان القراء الكرام، فمنهم من نسى هؤلاء، ومنهم من يعرفهم حق المعرفة، ومنهم من يكتشفهم لأول مرة. والقصد، كل القصد، أن نذكر بهؤلاء المشاهير، ونعرف بأولئك المجاهيل.

وإذ نحن نسعى في ثوب ثقافي وإنساني محض، إلى لفت نظر القارئ الكريم إلى أن تاريخ البشرية حافل بأعمال المخلصين في هذا العالم، فإننا نود أن نشير إلى أن هذه الإشراقات والكتابات التي بين أيديكم هي عصارة أفكار خطها لفيف من خيرة كتابنا في موقع "إسلام أونلاين" وجمعية البلاغ الثقافية في قطر، على مدى سنوات وسنوات..

وإذ نحن نسلط الأضواء على شخصيات عربية وإسلامية وتبيان إرثهم الثقافي والعلمي ورصد مسارات حياتهم، لا يمكن أن ننكر فضل شخصيات أخرى، مختلفة بيئة ودينا وثقافة، دأبوا على خدمة مجتمعاتهم خاصة والمجتمع الإنساني بصفة عامة.

إننا لا ندعي أبدا أن هذه الصور الذاتية والتعريفية للأسماء التي بين أيديكم، هي وحدها دون غيرها، التي تمثل كل الإرث الإنساني المتراكم عبر التاريخ، فهناك الكثير من الشخصيات الأخرى التي لم ترد أسماؤهم في هذا العمل البسيط، ليس تجاهلا أوإنكارا أوتعصبا، وهي أسماء حتما لها باع طويل في مجالاتها، وهي حتما ستكون مشروعا لعمل مشابه في المستقبل.

إنه ليسعدنا، في "جمعية البلاغ الثقافية" وموقع "إسلام أون لاين"، أن يتم إخراج هذه الطبعة لـ "مشاهير ومجاهيل" لتكون تتويجا لعقود من البحث والتقصي عن شخصيات عالمية غرقت في طي النسيان أوكانت مصدر جهل بها أوإنكار لأثرها. ونتمنى أن يكون هذا العمل نواة ومقدمة لطبعات أخرى من الأعلام والشخصيات مشاهيرا كانوا أومجاهيلا، والله من وراء القصد.

نورالدين قلالة

فهرس المحتويات

تقديـم	3
الشيخ عبد الله الأنصاري.. خادم العلم وصاحب التقويم القطري	7
أحمد البنعلي.. قاضي قطر وعالمها المتبحر	19
عبد الله آل محمود.. مؤسس القضاء الشرعي في قطر	27
الشيخ محمد المانع.. باعث النهضة العلمية بدول الخليج	36
تقي الدين عثمان.. ابن الصلاح وإصلاح علم الحديث	45
عبد السلام العبادي.. أمين عام مجمع الفقه الإسلامي الدولي	48
الطيب العُقبي.. أحد أركان الإصلاح في الجزائر	54
عبد القادر الأرناؤوط.. محقق تصنيفات الحديث الشريف	63
محمود غومي.. الترجمان الأفريقي للقرآن الكريم	70
محمود غالي.. شيخ المترجمين لمعاني القرآن الكريم	76
عبد الله كُنون.. علامة المغرب	80
محمد العثيمين.. العالم العابد	87
عبد الله دراز.. منظِّر الأخلاق القرآنية	91

فهرس المحتويات

محمد الشنقيطي.. صاحب أضواء البيان	96
ست العرب.. روضة أبي شامة الخاصّة	100
محمد الندوي.. عالم وأديب شبه القارة الهندية	105
الشيخة "ضوء الصباح".. إحدى عجائب زمانها في علم الحديث	109
جمال الدين الألوسي.. العالم الذي فاز بجائزة نوبل قبل تأسيسها	115

الشيخ عبد الله الأنصاري
خادم العلم وصاحب التقويم القطري

هوعلامة قطر الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري عالم دين وفلكي لقب بـ "خادم العلم" لما قام به من جهود كبيرة تمثلت في طباعة الكتب الإسلامية، بعد تنقيحها وتصحيحها، وتوزيعها في مختلف أنحاء العالم الإسلامي، وهوواضع التقويم القطري الذي أشرف على إصداره نحوا عدة عقود من الزمن.

بدأ الشيخ عبد الله الأنصاري حياته بالعمل في مهن عديدة منها التجارة باللؤلؤ في مدينة الخور التي كانت انطلاقة مشواره، ونظرا لقساوة الحياة كان بين العمل في الغوص والتجارة باللؤلؤ وطلب العلم، لكنه أصر واجتهد في طلب التعلم، إلى أن أصبح عالما من علماء قطر المشهورين.

المولد والنشأة والنسب

ولد عبد الله بن ابراهيم الأنصاري عام **1914** ونشأ في مدينة الخور الساحلية شمال شرق الدوحة في بيت علم وصلاح، فقد كان والده قاضيا وعالما وله كتّاب لتحفيظ القرءان. وللشيخ الأنصاري نسب عريق في الصالحين حيث ينتهي نسبه إلى الصحابي الجليل سعد بن عبادة الأنصاري الخزرجي رضي الله عنه وأرضاه. كنيته أبومحمد. والشيخ سليل أسرة عربية كريمة، أسرة خير وبر وفضل.

نشأ الشيخ نشأة صالحة دينية في كنف والده الشيخ العابد الصالح الكريم إبراهيم الأنصاري الذي رباه وتعهده، وبدأ يقرأ القرآن وهوابن خمس سنين على يد والده الذي كان له كُتّاب يدرس فيه أبناء المسلمين القرآن الكريم واللغة العربية، ثم أجلسه للتلقي عنه وتحصيل العلم، فحفظ الشيخ عبد الله كتابَ الله، وهولم يتجاوز الثانية عشرة من عمره. ونظرا للبيئة العلمية التي ولد فيها، بدأت علامات النبوغ تظهر عليه في سن مبكرة، ثم درس على والده مبادئ العلوم الشرعية، كالفقه والحديث والتفسير، وعلوم اللغة العربية.

وللشيخ عبد الله سبعة أبناء ذكور أكبرهم محمد وبه يكنى، وكنية ابنه محمد أبوعمر. ثم من بعده عبد العزيز ثم ابنه عبد الرحمن ثم ابنه الشيخ إبراهيم، ثم جابر ثم أحمد ثم علي وهوأصغر أبناء الشيخ. وقد توفي للشيخ بعض الأبناء في حياته فصبر على فقدهم، واحتسب الأجر من الله تعالى.

الوظائف والمسؤوليات

عمل معلما وإماما وخطيبا ومدرسا في قرية "دارين" بالمنطقة الشرقية بالمملكة السعودية، ثم مساعدا لقاضي القطيف، ثم عين مدرسا ومديرا للمدرسة الرسمية التي أنشأتها وزارة المعارف السعودية لمدة ثلاث سنوات.

في عام **1948** بعث حاكم قطر الشيخ علي بن عبد الله آل ثاني إلى الملك سعود بن عبد العزيز رسالة يطلب السماح للأنصاري بالعودة إلى وطنه فوافق وعاد إلى قطر، حيث أنشأ معهداً دينيا تولى إدارته، كما تولى مناصب مختلفة كان آخرها مدير إدارة الشؤون الدينية. أُسند إلى الشيخ إدارة إحياء التراث الإسلامي، فيسّر الله على يديه طباعة مجموعة كبيرة من كتب التراث في التفسير والحديث والفقه والأصول والعقيدة والتاريخ واللغة والأدب، والمتون التي يحفظها طلاب العلم وغيرها، تطبع محققة مفهرسة على ورق فاخر، وتوزع في البلاد الإسلامية المختلفة، يرسلها الشيخ إليها، فينتفع بها طلاب العلم، وخصوصًا الفقراء الذين لا يجدون أثمان الكتب الكبيرة، فنفع الله به الألوف من علماء المسلمين وطلاب العلم في أنحاء العالم.

كان الشيخ موئلًا لأصحاب الحاجات من الفقراء والغارمين، وطلبة العلم، ولا سيما من البلاد الإسلامية المختلفة. وكان يستقبل الجميع يهشّ لهم، ويعمل على مساعدتهم، ولا يضيق صدرًا بهم. وكان أهل البر والخير من تجار قطر وأثريائها يثقون به، ويمدونه بما يعين به أهل العوز والفقر. وقد عمل الشيخ على إنشاء مراكز تحفيظ القرآن، التي بدأت محدودة ثم توسّعت وانتشرت، وأصبحت تملأ الساحة، والحمد لله.

مسيرته العلمية

لانشغال والده بأعباء القضاء وحل المشاكل بين الناس، وعدم الوقت الكافي لمواصلة الدراسة على يده، فكر في الهجرة لطلب العلم وقرر الرحيل إلى الإحساء في المملكة العربية السعودية.

تلقى العلم من كوكبة من العلماء أمثال عبد العزيز المبارك، وأبوبكر الملا، وعبد العزيز بن صالح، وعبد الله بن عُمير، وعبد الله الخطيب وغيرهم، وبرعاية هؤلاء العلماء تفتّقت مواهبه وتوسّعت مداركه في شتى فنون العلم.

بعد انتهاء رحلته العلمية إلى الإحساء عاد إلى قطر واستزاد العلم من والده، فلازمه سنة كاملة كانت كلها مذاكرة ومدارسة، ثم تاقت نفسه إلى حج بيت الله الحرام فقرر الرحيل لأداء مناسك الحج.

بقي بمكة المكرمة وواصل الدراسة بالمدرسة الصولتية -التي أنشأها العلامة الدهلوي- ودرس على مشايخ مكة المكرمة أمثال الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة، والشيخ محمد بن مانع، والشيخ علوي المالكي وغيرهم.

عاد الشيخ عبد الله الأنصاري إلى قطر بعد خمسة أعوام من الدراسة والتفقه في علوم الدين بمكة، لكنه عاود بعد أعوام الرحلة إلى المملكة العربية السعودية ليس طالبا للعلم هذه المرة، وإنما معلما وإماما وخطيبا.

ساعد بعد عودته لوطنه من موقع مسؤوليته في الشؤون الدينية على تأسيس مراكز لتحفيظ القرآن الكريم في قطر، والعمل على طباعة عشرات من كتب التراث الإسلامي بعد تحقيقها ومراجعتها جاوزت **150** كتابا، وزعت على طلبة العلم والمساجد والمراكز والمؤسسات الإسلامية في أنحاء العالم، مما جعل العلماء يلقبونه بـ "خادم العلم".

وبالإضافة لخدمة دين الله والدعوة إليه، اهتم الأنصاري بأمر المسلمين وشارك في العديد من المؤتمرات والندوات في بلدان عديدة، وكان عضوا برابطة العالم الإسلامي.

صفاته وأخلاقه وسجاياه

الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري عالم جليل، ومربّي نبيل، وداعية كبير، ومجاهد غيور. رجل بشوش الوجه، باسم الثغر، عذْب الحديث، سمْح النفس، تستريح نفسك إذا نظرت إليه، وينشرح صدرك إذا تحدّثت إليه، وتحس بأنه رجل من أهل الصدق والإخلاص.

الشيخ الأنصاري كنز من الفضائل وخصال الخير، يكتشفها فيه كل من عرفه واقترب منه، وكلما زاد منه قربا، ازداد له حبا، وهوما لمسه الكثيرون ممن عرفوه أواقتربوا منه. كان شعلة من النشاط والحركة والغيرة الدينية، وكان رضِيا محبَبا إلى كل من عرفه من الناس.

وكان سرُّ ذلك يرجع إلى سماحة نفسه، وسعة صدره، وحسن خلقه، ورقة طبعه، فهورجل سهل سمح، موطأ الأكناف، كريم النفس، مبسوط اليد، يألف ويُؤْلف، يُحِبُّ ويُحَبُّ، يرحم الصغير، ويوقّر الكبير، ويقْري الضيف، ويبذل للمحتاج، ويعين على نوائب الدهر، تقوم حياته على المياسرة لا المعاسرة، والتسهيل لا التعقيد، والتسامح لا التعصب، والمرونة لا الجمود.

وقد ظهرت هذه الصفات في علمه وفقهه، كما ظهرت في تعامله وسلوكه. فهويقتبس من المنهج النبوي: "يسّروا ولا تعسّروا، وبشّرووولا تنفّروا"، كما اقتبس من الخلق النبوي: "أنه ما خُيّر بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثما"، ومن خلق السماحة لدى الشيخ أنه كان قريبا من الذين يعملون معه، ما كانوا يشعرون بأنهم مع رئيس يستعلي عليهم، بل مع أبٍ يحنوعليهم، ولا غروأن استمر الذين عملوا معه سنين بل عقودا، لم يتغيرّ عليهم، ولم يتغيّروا عليه.

ولم يكن الشيخ الأنصاري متعصِبا لمذهبه، حتى إنه لا يكاد أحد يعرف له مذهبًا، فهويحبّ الأئمة جميعا، ويقدّرهم جميعا، ويحترم المذاهب كلها، ويأخذ منها ما ترجَح دليله لديه، ولا يمنع العامّة من تقليد أيّ مذهب رضوه منها، ولا يطعن في أحد من العلماء الأموات أوالأحياء، بل كان عفّ اللسان، لا يحب أن يذكر أحدا بسوء، وطريقته أن يضيء الشموع، لا أن يلعن الظلام.

وعُرف عن الشيخ أنه كان ذا وجدان روحي عميق، وحسّ إيماني رقيق، تغلب الدموع عينيه، وتترقرق العَبرات على وجنتيه، عندما يعظ أويخطب، فيأخذه الوجد، أويغلي به الحماس، ولكنه لم يكن من الخرافيين الذين يتَبعون ترّهات بعض الطرق الصوفية، أوالذين يتقبلون البدع ويحاولون تبريرها، أوالذين يروّجون الشركيات في العقيدة بصورة من الصور.

وأكثر ما عرف عن الشيخ الأنصاري أنه خادم للعلم، ساع في الخير، عامل في حقل الدعوة الإسلامية، باذل للمعروف، مصلح بين الخصوم، جامع للقلوب محب للعلماء، معين للفقراء، مؤيد لأصحاب الحق، مشجع لطلبة العلم، ناصح لولاة الأمر.

وكان رقيق الحاشية، جياش العاطفة، تستثيره أوضاع المسلمين، فيبكي لحالهم، ويتألم لأوضاعهم، ويبذل قصارى جهده للتخفيف من آلامهم وتقديم العون لهم. ومن فلسفته في الحياة التقرب إلى ولاة الأمر وتقديم النصيحة لهم، بالحكمة والموعظة الحسنة، والاستفادة من جاههم وسلطانهم وأموالهم، لخدمة المسلمين والصبر على ما يصدر منهم من هفوات وعدم التشهير بهم، لئلا يستغل ذلك بطانةُ السوء الذين يريدون عزل الراعي عن الرعية، وإقامة الحجاب بين الحاكم والمحكومين، وعدم اطلاع ولي الأمر على حقيقة ما يجري، لتزداد الهوّة بين الشعوب والقادة فيصطاد المفسدون في الماء العكر.

قالوا عنه

كان الشيخ الأنصاري رحمه الله خلوقا متواضعا كريما سخيا، وكان ذلك يخرج عنه من غير تكلف. والحق أنه لا يتحدث عن السجايا إلا من كان قريبا من صاحبها، أومسافرا

معه، أومتعاملا معه، ليسبر شخصيته وخلقه، وأنقل هنا ما كتبه القريبون من الشيخ صداقة وسفرا وعملا:

قال الشيخ عبد المعز عبد الستار: "أشهد لقد كان الشيخ عبد الله الأنصاري – رحمه الله وأجزل مثوبته – من أسرع الناس نهضة في الصريخ، وإغاثة لملهوف، ونصحا لعباد الله، ورغبة في عمل الخير، بل حرصا على خير العمل، ونجدة المحتاج، وإنصاف المظلوم".

وقال عنه الدكتور عبد العظيم الديب:"كان سريع الاستجابة في الخير ذا مشاعر حية وعواطف جياشة، كان من الذين ينطبق عليهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَخْمُومِ الْقَلْبِ صَدُوقِ اللِّسَانِ" (رواه ابن ماجة)، كان قريب الغور، طاهر القلب، في غاية الرقة والسهولة واليسر والبساطة والتواضع غير المتكلف والمصطنع؛ يدرك ذلك كل من لقيه وعرفه.

كما كان ممن أوتي حسن الخلق، وقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم: ما خير ما أعطي العبد قال: "خُلُقٌ حَسَنٌ" رواه احمد وابن حبان، ففي مجلسه يبدوبسيطا مع الجميع، فلا يشعر أي واحد في مجلسه أنه يفرق بين الحضور، بل يشعر كل فرد أنه يهتم به وحده أويجامله وحده".

وقال الأستاذ ناصر العثمان: "كان بسيطا إلى درجة متناهية، لين العريكة، واسع الصدر، حليما طيب القلب إلى درجة مفرطة، تراه دائم المزاح والمرح والابتسام، لا يجنح إلى الغضب، ولا يقترب من الغلظة، ومع كل ما كان عليه من وقار كنت تراه يساير الأطفال فيما يفرحهم، وينزل إلى مستوى البسطاء فكأنه منهم، وعالما بين العلماء، ورجلا بين الرجال، فكسب محبة الجميع بذلك واحترامهم وتقديرهم".

وقال عنه الأستاذ عمر الخطيب: "كان صبورا كاظم الغيظ حليما".

كما وصفه أحدهم أيام شبابه فقال:"عمل بالغوص على اللؤلؤ في أول شبابه، وكان نوخذة ومضرب المثل في شجاعته، وكان إذا نزل في أعماق البحر يطول مكثه تحت الماء لطول نفَسه، وكان يتأخر في الوقت قليلاً بعد إخوانه الذين ينزلون معه للبحث عن اللؤلؤ".

الشيخ والنهضة التعليمية في قطر

يعتبر الشيخ رائدا من رواد النهضة التعليمية في قطر، فهومن طلاب المدرسة الأثرية والتي تعتبر من أوائل المدارس في دول الخليج، والذين ساهموا بشكل واضح في بناء ومسيرة النهضة التعليمية في قطر من أمثال الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود، والشيخ عبد الله بن تركي السبيعي، والشيخ قاسم درويش فخرو، وأحمد يوسف الجابر وغيرهم. وكان من إسهامات الشيخ عبد الله العديدة في المجال التعليمي تأسيسه المعهد الديني في قطر، وهوأول معهد يقام في قطر، كما شارك الشيخ بفكره وجهده في بناء منهج التربية الإسلامية المبنية على العقيدة الراسخة، كما أشرف على بعض الكتب المدرسية للمراحل المختلفة في مجال التربية الإسلامية، كما له الفضل في تذليل العقبات التي اعترضت تعليم الفتاة في دولة قطر، وكان من المشجعين لتعليم المرأة،

تقول رائدة تعليم البنات والعمل النسائي في دولة قطر السيدة آمنة محمود الجيدة رحمها الله:

"طلب مني الشيخ عبد الله بن تركي والشيخ عبد الله الأنصاري أن أعرض فكرة التدريس على بعض نسوة قطر، فلم نجد القبول، وبعد ذلك ذهبنا إلى مدينة الوكرة، وشجعنا بعض الأهالي لتدريس القرآن الكريم، وإدارة مدرسة في الوكرة بعد أن افتتحت مدرسة صغيرة فيها".

تأسيسه لأول معهد ديني بقطر

بعد أن رجع الشيخ من المنطقة الشرقية واستقر في الدوحة قام بافتتاح أول معهد ديني فيها وذلك عام **1374**هـ، وقام بإدارته والإشراف عليه، وإلقاء بعض الدروس الدينية فيه، كما وضع الخطط والبرامج والمناهج له، واختار له ثلة من العلماء والمشايخ وهم من طليعة رجال التعليم، ومنهم من كان خريج المدرسة الأثرية التي أنشأها الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع ليدرسوا فيه ومن هؤلاء: الشيخ عبد الله بن تركي، والشيخ محمد بن سعيد بن غباش، والشيخ مبارك بن سيف الناخي، والشيخ راشد حسن الدرهم، والشيخ

يوسف عبد المقصود، والشيخ أحمد القدسي، والشيخ عبد الرحمن أحمد الملاّ، والشيخ خميس فيّاض، والسيد عبد الله بن عبد اللطيف سكرتيرا، وقد ضم المعهد الديني في البداية قسماً تمهيدياً لبعض المبتدئين، وألحق به قسم داخلي لسكن الطلبة القادمين من القرى ومن مناطق الخليج الأخرى، كما كان به فصل دراسي خاص بالأئمة لتحسين مستواهم العلمي، وضم كذلك مكتبة صغيرة، وكان يقبل التلاميذ من كل الأعمار.

وقد استمر المعهد لمدة ثلاث سنوات، ثم ضم إلى إدارة المعارف آنذاك، ونقل طلاب المعهد إلى مدارس الدولة، حسب مستوياتهم، وقد قام الشيخ بتدريس مادتي التفسير والحديث، وكان له طلاب درسوا عليه ونهلوا من علمه واستفادوا منه، وأصبح لهم شأن، وتسنموا مناصب كبيرة في أجهزة دولهم في الخليج وآسيا وإفريقيا والعالم.

توليه إدارة الشؤون الدينية

أمّا من ناحية إدارة الشؤون الدينية، فقد أسهم في تأليف، وتحقيق، طباعة، ونشر، العديد من الكتب تجاوزت المائتي عنوان، معظمها من أمّهات الكتب والمراجع الرئيسية في الفقه والتفسير والحديث واللغة والأدب والتاريخ والطب والفلك.

في العام الهجري (**1400**هـ) تم عقد المؤتمر العالمي الثالث للسيرة والسنة في قطر، وكان الشيخ الأنصاري هورئيس هذا المؤتمر الذي حقق نجاحا بكل المقاييس، تمخض عن توصيات ومقترحات أصبح لها دور فاعل وكبير في التربية والفقه وعلوم السنة والسيرة، على مدى الخريطة العربية والإسلامية.

في عام (**1402**هـ، **1982**م) أنشأت إدارة إحياء التراث الإسلامي بأمر من سموأمير دولة قطر الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني، وأوكلت إدارتها إلى الأنصاري، وقد حلّت هذه الإدارة تدريجيًا محل إدارة الشؤون الدينية، وتحوّلت بعد وفاة الشيخ الأنصاري إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

الشيخ والفلك

كانت للشيخ الأنصاري دراية واسعة بعلم الفلك، فقد قام على إصدار التقويم القطري لمدة تقرب على الثلاثين عامًا، فكان إصدار أول تقويم تحت إشرافه عام (**1377**هـ)، وقد كان يقوم على إصدار التقويم قبل ذلك والده الشيخ إبراهيم الأنصاري ، كما كانت للأنصاري دراية واسعة بمنازل القمر، ومواقيت الحساب العربي، ومنازل النجوم والأشهر الشمسية، وتأثير ذلك على الزراعة، والصيد البري والبحري، والرياح، ودخول وخروج الفصول، كما أصدر كتاب الموافقات الشهير (معرفة الصواب في مواقيت الحساب) ووضع الأساس الحسابي للتقويم القطري، الذي أصبح فيما بعد التقويم الرسمي لدولة قطر، بل والمعمول به في كثير من دول الخليج العربي.

أنشطته الخيرية

ساهم الأنصاري في الكثير من الأنشطة الخيرية الإسلامية، فقد كان عضوًا بالمجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي، وعضوًا برابطة الأدب الإسلامي، ذلك عدا أنّه عضومؤسس لمنظمة الدعوة الإسلامية، والمجلس الأفريقي الإسلامي، ومع كونه أسهم في تأسيس المراكز الإسلامية في كل من كوريا واليابان والفلبين وسنغافورة وتايلند وألمانيا وفرنسا وبعض الولايات الأمريكية.

وأسس دار الأيتام الأنصارية في كيرلا بالهند، والتي أصبحت اليوم من أكبر الجامعات التكنلوجية بالهند، وأصبحت مدارسها من المدارس الرفيعة المستوى على صعيد كيرلا حتى أصبح يؤمُّها أبناء المسلمين وأبناء الهندوس، وأصبح يدرس فيها الفقراء بالمجان، بينما يدفع الأغنياء ورجال الأعمال ورجال الحكومة مصاريف أبنائهم ليضموهم إليها.. مما سهّل عملية تعليم الفقراء.

مجمع الأنصاري للقرآن الكريم وعلومه

لسنا مبالغين إذا قلنا: إن الشعب القطري فُطِرَ على الخير، وامتزج التنافس في الخيرات

بدمه، واتسق واقعه الإسلامي الإنساني مع أصالته، وعبر واقعه الإسلامي الإنساني المتميز عالميا عن عراقته. ودولة قطر في انطلاقها المعاصر تحفز الهمم، وتضاعف الجهود لعطاء متطور متجدد يساهم في نهضتها، ويثري حضارتها.

ويعتبر "مجمع الشيخ الأنصاري للقرآن الكريم وعلومه" مَعلم ديني ثقافي علمي تربوي يحمل رسالة، وينهض بمسؤوليات، ذروتها القرآن الكريم حفظاً وتجويداً ومدارسة، والحديث الشريف بياناً واستخلاصاً لبناء مسلم سليم العقيدة، سوِيّ العبادة، حسن التأسي، قويم السلوك وسطيّ المنهج، يجسد قيم الإسلام، ويؤكد معاصرتها، وصلاحها لكل زمان ومكان.

ويولي المجمع المرأة المسلمة اهتماماً باعتبارها منبت ومنشأ الأجيال من خلال دراسة منهجية منظمة في "معهد الشيخ إبراهيم الأنصاري للدراسات الإسلامية". والمعهد يبني شخصية المسلمة الداعية في بيتها، ومع أرحامها، وصديقاتها، وجيرانها ثم المجتمع.

فضلاً عن "مكتبة فضيلة الشيخ عبد الله الأنصاري العامة" بعد تحديثها وإضافة تقنيات مكتبية إليها، تتيح لها الأداء الجيد، والمشاركة المتميزة في دعم النهضة الثقافية، وإثرائها، وإبراز القدرات وإعلائها، وفتح المجال للطموحات وتزويدها.

والمجمع هوالمقر الجديد(لدار التقويم القطري) وما خُوّلتْ من رسالة، وما ألقي على عاتقها من أمانة في إعداد مواقيت العبادات، وفي طليعتها الصلوات الخمس، وقد أصر الشيخ إبراهيم الأنصاري إلا نشره فخطه بيده، وتابعه الشيخ عبد الله الأنصاري – رحمهما الله تعالى – حرصاً منهما على أن يكون لقطر تقويمها الخاص، وقد أبى طموح دار التقويم القطري إلا أن تضيف وتجدد، وترقى بإنتاجها وتعدد، فخطت دار التقويم خطوات واسعة، وطورت وتطور إنتاجها مستفيدة من تقنيات العصر مهدية إلى الشعب القطري صوراً بارعة ومتنوعة من التقويم القطري، ومتحفة دول مجلس التعاون الخليجي تقويمها لعواصم دول المجلس مخصصة المدينتين المقدستين مكة المكرمة والمدينة المنورة لتكونا فاتحة تقويمها القطري بتوقيت الحرمين الشريفين وعواصم دول مجلس التعاون

الخليجي، فضلاً عن مطبوعاتها الكثيرة التي تنمو، وتزدهر مع كل عام، وتعايش كثيراً من قضايا الإسلام والمسلمين.

وللمجمع خدمات متنوعة، وعطاءات متعددة منطلقها الإسلام، وكلها تعبير صادق عن عظمة قطر واعتصامها بالله تعالى حكومة وشعباً. ومن أهدافه نذكر مايلي:

- العناية بكتاب الله تعالى والترغيب في حفظه وتجويده.

- نشر العلوم الشرعية والوصول بها إلى صانعي وصانعات الأجيال.

- المشاركة في نشر ثقافة متميزة، قوامها الإسلام بخصائصه المعصومة، ثم العروبة بأصالتها ومصداقيتها.

- إفساح المجال للحوار، وتهيئة الظروف لاستقبال المفكرين والعلماء والتفاعل معهم، والأخذ عنهم.

- تعميق الإحساس بعظمة الثقافة الإسلامية العربية والعمل على إثرائها، والمشاركة في إضافة روافد لها.

- التواصل مع الفكر الإنساني الاجتماعي الراشد الذي لا يتعارض وثوابت الإسلام.

- رعاية التقويم القطري والارتقاء به مضموناً وإعداداً وإخراجاً وتزويد المجتمع الخليجي بخبرات هي خلاصة جهود استوعبت عشرات السنين، وعاش لها الآباء، وقمنا على طريقهم، نحمل طموحهم وطموح الأجيال في تعاقبها ونهضتها وتطورها.

- يحرص المجمع في كل مُخْرَجَاتِه على أن يكون صورة لقطر الرائدة المزدهرة المنافسة العملاقة في أمجد عصورها، وأوج حضارتها، وقوة منافستها الاجتماعية.

وفاته

توفي الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري يوم **15** أكتوبر/تشرين الأول **1989** في مدينة الدوحة عاصمة قطر. وقد كان لوفاة الأنصاري رد فعلٍ مدو على جميع أنحاء العالم الإسلامي، وكانت جنازة الشيخ الأنصاري من الجنازات المشهودة في قطر، بل والعالم الإسلامي، وقد أمّ الصلاة عليه سماحة الشيخ عبد الله بن زيد المحمود قاضي القضاة ومفتي الديار القطرية، وقد غصّ جامع قطر الكبير بالمصلين، حتى كان يقام صفٌ لمصلي الجنازة بين الصفين، ومع ذلك تعبأت الساحات الخارجية للمسجد، وأغلقت بعض الشوارع المحيطة بالمسجد.

وقد استمر مجلس عزائه لمدة زادة عن العشرة أيام، وظل المعزون يتوافدون بعد ذلك بقرابة الشهر. رحم الله الأنصاري، فقد وهب نفسه للإسلام والمسلمين، وأعطى للعلم جلّ حياته فحقّ أنْ يُلقّب بـ: "خادم العلم".

أحمد البنعلي
قاضي قطر وعالمها المتبحر

يعد فضيلة الشيخ أحمد بن حجر آل بوطامي البنعلي- رحمه الله - أحد رموز الدعوة الإسلامية والقضاء الشرعي في قطر طوال أكثر من نصف قرن، فقد مارس التدريس والخطابة والقضاء في رأس الخيمة ما يقرب من ربع قرن ثم تولى القضاء في قطر خمسة وثلاثين عاما.

هو أحمد بن حجر بن محمد بن حجر بن أحمد بن حجر بن طامي بن حجر بن سند بن سعدون آل بوطامي البنعلي. فقيه محقق وقاض كبير وعالم، يعد من صدور العلماء وأعالمهم وأحد رموز الدعوة والقضاء الشرعي طوال أكثر من نصف قرن، تاقت نفسه إلى طلب العلم منذ صباه، فأتجه يغرف من العلوم وهولم يبلغ الخامسة عشرة من عمره.
كان خطيبا مفوهاً بليغاً جريئاً وفصيحاً، لا يخاف في قول الحق لومة لائم، يطرق موضوعات تمس حياة الناس، كان لخطبه تأثير في اسماعهم وأفهامهم لتمكنه وتبحره في مختلف العلوم، وتضلعه من فنون الأدب، ودرايته بأخبار العرب وأشعارها وأمثالها ونوادرها.

مارس التدريس والخطابة والقضاء ما يقرب من ربع قرن، متنقلا بين العديد من الدول. درس وحفظ الكثير من المتون في مختلف العلوم والفنون، على أيدي كبار العلماء. كما بدأ نظم الشعر والتأليف ولم يتجاوز التاسعة عشرة من عمره. وكانت له حافظة نادرة مكنته من حفظ العديد من المتون في علمي الشرع والتشريع.

المولد والنسب

ينتسب إلى قبيلة بني سليم، وموطنهم الأصلي هوحرة بني سليم بالقرب من المدينة المنورة، ثم انتقلوا إلى الإحساء ثم دارين، ثم انتشروا في نواح شتى في شبه الجزيرة العربية وإفريقيا والهند. أما آل بوطامي فقد استقروا في منطقة الزبارة بشمال قطر، ومنها انتقلوا إلى البحرين وساحل عمان وجزيرة قيس.

لا يعرف على وجه التحديد تاريخ ميلاده، ولكن الراجح أنه ولد حوالي سنة **1335** الموافقة **1915**م، ونشأ نشأة دينية محافظة في رعاية أمه التي عُرفت بالكرم والنُّبل والصلاح، فقد توفي والده وهوصغير، وكانت أمه قد رأت في حمله رؤيا صالحة رأت طفلًا يشرب لبنًا فقيل لها تلدين طفلًا يشرب العلم كما رأيته يشرب اللبن، فكان مولودُها كذلك بأمر الله عالمًا فذًّا متبحرًا في أنواع العلوم، وقد ظهرت عليه علامات النبوغ والذكاء والنبل منذ نعومة أظفاره، فكان مذ ذاك يحب أن يجالس أهل العلم ولم يكن له توجه إلى اللعب مع الأطفال، بل كان يصاحب ويجالس من هم فوقه وأكبر منه من طلاب العلم، ويدعوهم إلى منزله.

سفره وطلبه للعلم

بدأ الشيخ تلقي العلوم الشرعية منذ صغره، حيث حفظ القرآن الكريم طفلًا، ثم درس الفقه الشافعي والعقيدة السلفية، ثم سافر إلى الإحساء سنة **1931**م لاستكمال دراسته للعلوم الشرعية وعمره حينئذ حوالي **15** عامًا.

مكث الشيخ في الإحساء أربع سنوات منقطعًا لطلب العلم على أيدي علماء الإحساء. ثم انتقل إلى قطر، ومنها إلى إمارة رأس الخيمة، حيث أقام بها مدة، ودرس، وأفتى، وعمل بالقضاء، ثم انتقل إلى الرياض سنة **1956**م حيث اشتغل بالتدريس في معهد إمام الدعوة.

شيوخه وتلامذته

تلقى العلوم الشرعية على أيدي العديد من العلماء، منهم:

- عبد الله محمد حنفي، وأحمد نور بن عبد الله: تلقى منهما علوم التجويد والعقائد والفقه والفرائض والنحو.

- أحمد بن علي العرفج: تلقى منه علم الفقه على المذهب الشافعي.

- عبد العزيز بن صالح العلجي: تلقى منه علوم النحووالصرف والقوافي والبلاغة والعروض والمنطق وشرح صحيح مسلم.

- محمد بن أبي بكر الملا: تلقى منه علوم النحووالبلاغة ومصطلح الحديث وشرح كتاب سبل السلام.

- عبد العزيز بن عمر بن العكاس: تلقى منه شرح كتاب عقيدة السلف أصحاب الحديث، وكتاب "مشكاة الأحاديث"، وكتاب "بهجة المحافل" في السيرة النبوية.

كما له جمع غفير من التلاميذ من مختلف الدول يصعب حصرهم، مثل الشيخ عبد العزيز بن محمد آل الشيخ مفتي المملكة العربية السعودية.

بين القضاء والتدريس

ولي القضاء الرسمي في رأس الخيمة نحوعشرين سنة، حيث بدأ العمل بالقضاء سنة **1937**م في عهد الشيخ سلطان بن سالم القاسمي، وكان عمره لا يتجاوز **31** عامًا، وفي عام **1951**م أمر الشيخ صقر بن محمد القاسمي بتعيينه قاضيًا رسميًّا للبلاد، واستمر في القضاء حتى سنة **1956**م، وفي تلك السنة تلقى الشيخ دعوة من الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ مفتى المملكة العربية السعودية آنذاك ليكون مدرسًا في معهد إمام الدعوة بالرياض فوافق الشيخ.

وفي عام **1958**م عرض عليه أن يتولى القضاء في قطر، فهاجر إلى قطر، واستقر بها، وكان عمره **42** عامًا، حتى طلب الإعفاء من القضاء في عام **1991**م حيث تقاعد وتفرغ للتأليف ونشر العلم.

كما مارس الشيخ التدريس إلى جانب ممارسته للقضاء، فقد قام بالتدريس لطلبة العلم في مجلسه في مدينة المعيريض، وكذلك في رأس الخيمة بمدرسة الهداية، والتي ساهم في تأسيسها.

في سنة **1954**م توجه مع الشيخ حميد بن محمد القاسمي بتكليف رسمي من الشيخ صقر بن محمد حاكم رأس الخيمة آنذاك إلى حكومتي البحرين والكويت لطلب المساعدة في فتح مدارس حديثة في رأس الخيمة، فاستجابت حكومة الكويت، وأرسلت مدرسين وكتبًا، وعمل كمدرس في معهد (إمام الدعوة) بالرياض، كما كان يقوم بالتدريس لطلبة العلم في مجلسه في قطر.

علاقاته الوثيقة بالعلماء

كان الشيخ احمد بن حجر على علاقة وثيقة بعدد كبير من القضاة الأفاضل فكانت تربطه بهم علاقات أخوية متينة وكثيرا ما تدور بينهم مراسلات ومناقشات حول العديد من المسائل الفقهية ومن هؤلاء:

– في رأس الخيمة: الشيخ محمد بن سعيد بن غباش، والشيخ احمد بن سيف بن بهيو، والشيخ مشعان بن منصور والشيخ عبد الله بن علي بن سلمان.

– وفي دبي: الشيخ محمد الشنقيطي.

– وفي الشارقة: الشيخ سيف بن محمد المدفع.

– وفي عجمان: الشيخ عبد الله بن محمد الشيبة والشيخ عبد الكريم البكري.

– وفي قطر: الشيخ محمد بن عبد العزيز المانع والشيخ عبد الله بن زيد المحمود.

– وفي الإحساء: الشيخ عبد العزيز بن بشر والشيخ عبد الله بن عمر بن دهيش.

– وفي الدمام: الشيخ محمد العمود والشيخ محمد العودة.

– وفي الرياض: الشيخ عبد العزيز بن باز والذي كان زميله في الدراسة.

– وفي البحرين: الشيخ جاسم بن مهزع والشيخ عبد اللطيف بن سعد.

– وفي الكويت: الشيخ عبد العزيز بن حمادة والشيخ يوسف القناعي.

مؤلفاته وكلماته المضيئة

كان محبًّا للقراءة واقتناء الكتب، حتى احتوت مكتبته الشخصية حوالي عشرين ألف كتاب. وصنف العديد من الكتب في مختلف العلوم الشرعية الإسلامية، كالتوحيد، والفقه، وقضايا المجتمع الإسلامي.

وكان محبًا للشعر العربي، وألف قصائد في المسائل العلمية وخاصة الاعتقادية، بالإضافة إلى ما ألفه في المسائل الاجتماعية، ولكنه لم يرغب في أن يُعرف ويشتهر كشاعر، ولذلك لم يحتفظ من أشعاره إلا بالقليل.

امتاز الشيخ ابن حجر – رحمه الله – بإنتاجه الوافر وقلمه السيّال، فقد خلّف وراءه العديد من المؤلفات التي نفع الله بها المسلمين، وكانت محاور كتبه تدور حول علوم الشريعة الإسلامية، كالتوحيد، والفقه، وقضايا المجتمع الإسلامي، ونحوذلك. وقد بلغت عدد مؤلفاته ثمانية وعشرين مؤلّفًا، بعضها طبع أكثر من مرة، منها:

- العقائد السلفية (منظومة)، وقد شرحها في كتاب.
- الدرر السنية في عقد أهل السنة المرضية (منظومة).
- جوهرة الفرائض (منظومة).
- اللآلئ السنية في التوحيد والنهضة والأخلاق المرضية (منظومة).
- شرح العقائد السلفية بأدلتها العقلية والنقلية.
- تطهير الجَنَان والأركان عن دَرَن الشرك والكُفران.
- الإسلام والرسول في نظر منصفي الشرق والغرب.
- الرد الشافي الوافر على من نفى أمية سيد الأوائل والأواخر.
- سبيل الجنة بالتمسك بالقرآن والسنة.
- تحذير المسلمين من البدع والابتداع في الدّين.
- تطهير المجتمعات من أرجاس الموبقات.

• الخمر وسائر المسكرات تحريمها وأضرارها.

• الشيخ محمد بن عبد الوهاب مجدد القرن الثاني عشر المفترى عليه.

• الشيخ محمد بن عبد الوهاب عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية وثناء العلماء عليه.

• إعانة القريب المجيب في اختصار "الترغيب والترهيب" وشرحه "تحفة الحبيب".

• نيل الأماني شرح مباسم الغواني في نظم عزية الزنجاني في علم الصرف.

• نقض كلام المفترين على الحنابلة السلفيين.

وقد صدر برنامج موسوعي بعنوان "مكتبة الشيخ أحمد بن حجر آل بوطامي" يعتني بجمع مؤلفات الشيخ – رحمة الله–.

ومن كلماته ودرره المضيئة مايلي:

– "– تأسّى أبناء المسلمين بالكفار في أسوأ العادات والتقاليد وفيما يخالف الطبع المستقيم."

– "فمتى ما انسلخ المرء من الإيمان أوضعف إيمانه هان لديه ارتكاب كل فاحشة وانتهاك كل محرم، وهذا ما أراده الأعداء بنا".

– "العقول السليمة لتحكم بتحريم الخمر والميسر لما فيهما من الأضرار التي تفوق العد والإحصاء ولولم تأت بتحريمهما شريعة".

– "وقد كثرت شهادة الزور في المجتمعات الإسلامية"..." . شأن المسلم أن يكون نزيهاً من الكذب والغدر والنفاق والمكر والنميمة، وسائر الأوصاف الذميمة المجانبة للإيمان والإسلام ولتعاليم القرآن والسنة النبوية".

"قد فشى في هذا العصر تشبه الكثيرين من الشباب بالفتيات وتشبه الفتيات بالشباب"..."إن الإسلام رتب للمرأة حقوقاً لم تبلغها قبله ولن تنالها بعده، كان ذلك بغير نضال ولا صيحات ولا اجتماعات ولا مقررات، ولكنها شريعة الله التي تعطي كل ذي حق

حقه بغير انتقاص ولا ضياع" .."لا يخفى أن دين الإسلام قد رفع مقام المرأة وأكرمها إكراماً لم تحلم به في الأمم السالفة" .

"وما تركتهما أمة إلاّ فشت فيها الفوضى وفساد الأخلاق والاضطراب، ونهايتها إلى الاضمحلال والزوال" أي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قالوا عنه

قال عنه الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله في ثناء عليه ووصفه بالعلامة "ومنهم في عصرنا الشيخ العلامة أحمد بن حجر بن محمد آل بوطامي القاضي حالياً بالمحكمة الشرعية بقطر، فقد ألف كتاباً موجزاً مفيداً عنوانه: الشيخ محمد بن عبد الوهاب عقيدته السلفية ودعوتها الإصلاحية وثناء العلماء عليه، أجاب فيه وأفاد وأوضح دعوة الشيخ وعقيدته وجهاده بأسلوب مفيد" .

ومن أجمل ما كتب عنه أنه "العلامة السلفي المحقق الفقيه الأصولي، رمز من رموز الدعوة الإسلامية،قاض وحافظ للمتون، فارس من فرسان الفقه والعقيدة، مصدر للعلم والفتوى،يسعى في حوائج إخوانه، الزاهد الورع، المعلم الواعظ، خطيب محبوب، يُقبل الناس عليه،صادق ظاهره كباطنه، حمل أعباء القضاء بكل أمانة ونزاهة وإخلاص، لا يجامل صديقاً ولا مسؤولاً، ولا يجاري عامة ولا خاصة، عالم صادع بالحق،وكما كان عادلاً في قضائه كان صادقاً في فتواه،متحرياً للحق والصواب، قادراً بفضل الله على حل المشكلات في سرعة وحسم، امتاز رحمه الله بإنتاجه الوافر وقلمه السيّال، شغوف بكتب التوحيد وبكتب السنة، وباغض للبدع ومبتدعيها .

وكتبت عدة مؤلفات عن الشيخ - رحمة الله - منها:

- أطروحة للدكتوراه بعنوان "جهود العلامة أحمد بن حجر آل بوطامي في تقرير عقيدة السلف والرد على المخالفين"للباحث إسماعيل بن غصاب العدوي.

- أطروحة ماجستير بعنوان "جهود الشيخ أحمد بن حجر آل بوطامي في الدعوة إلى الله" للباحث غلاب بن حماد الزائدي (**1431/1432**) بكلية الدعوة وأصول الدين - جامعة المدينة المنورة.

- أطروحة ماجستير بعنوان "اختيارات الشيخ أحمد بن حجر آل بوطامي في النوازل الفقهية جمعًا ودراسة" إعداد عبد الله بن يوسف بن نيروز بن إبراهيم؛ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، **1429**هـ.

وفاته

أصابه مرض ألزمه الفراش مدة طويلة. حتى وافته المنية صباح الثلاثاء الخامس من جمادى الأولى سنة **1423**هـ / الموافق **14/6/2002**م عن عمر ناهز الثمانية والثمانين عامًا.

عبد الله آل محمود
مؤسس القضاء الشرعي في قطر

عالم وقاض قطري، شغف بطلب العلم صغيرا، فتنقل بين جنوب نجد وقطر، ودرّس في الحرم المكي، وأسس القضاء الشرعي في دولة قطر وتولى بها الإفتاء والقضاء.

يعد فضيلة الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود رئيس المحاكم الشرعية في قطر سابقا من أبرز الدعاة والقضاة في قطر ومنطقة الخليج، وقد ألف خلال حياته الكثير من الرسائل العلمية والمؤلفات الثرية وله كذلك بعض المقالات التي نشرت في الصحف القطرية. أسس آل محمود القضاء الشرعي في قطر، وتولى القضاء والإفتاء. وقد عرف طوال حياته العملية بصلابته في الحق والعفة عن كل ما فيه شبهة.

المولد والنشأة والتكوين

هوالشيخ عبد الله بن زيد بن عبد الله بن محمد بن راشد بن إبراهيم بن محمود بن منصور بن علي بن حامد الشريف. كانت ولادته في "حوطة بني تميم"، جنوب نجد سنة **1327** للهجرة ونشأ بها بين والديه، وكان والده تاجراً توفي والشيخ صغير لم يبلغ سن الرشد فتحملت والدته تربيته وكانت امرأة صالحة تكثر الدعاء له حيث تمنت أن تراه عالما كبيرا. وقد تلقى الشيخ ابن محمود دروسه الأولى كعادة الناس في عصره على عدد من المشايخ من أمثال: الشيخ عبد الملك بن إبراهيم آل الشيخ والشيخ عبد العزيز بن محمد الشثري (أبوحبيب). وعندما انتقل الشيخ أبوحبيب قاضياً في منطقة الرين انتقل معه لملازمته والدراسة عنده حتى سن الرابعة عشرة. وحفظ القرآن الكريم في صغره وكان شغوفاً بطلب العلم. وقد ساعده على ذلك نباهته وقدرته على الحفظ، وقدمه شيوخه للصلاة بالناس في التراويح ولم يتجاوز الخامسة عشرة، مما يدل على اعترافهم بتفوقه وجدارته. درس الشيخ آل محمود وحفظ الكثير من الكتب والمتون، كزاد المستقنع، ومختصر نظم ابن عبد القوي، وبلوغ المرام وألفية الحديث للسيوطي، ونظم المفردات وألفية ابن مالك، وقطر الندى في النحووكثير من الأحاديث النبوية. درس في قطر وهوفي الـ **26** من عمره من كتب الفقه والحديث والتفسير على الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع.

لازم في السعودية الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ مفتي الديار السعودية بالرياض وأخذ عنه العلم سنة كاملة، قبل صدور أمر الملك عبد العزيز آل سعود إلى الشيخ محمد بن إبراهيم باختيار ثمانية من العلماء للذهاب إلى مكة للوعظ والتدريس في المسجد الحرام، وكان الشيخ آل محمود واحدا منهم.

وفي سنة **1359**هـ الموافق **1940** وأثناء عودته من الحج طلب الشيخ عبد الله بن قاسم آل ثاني من الملك عبد العزيز آل سعود أن يبعث معه رجلا من أهل العلم ليعهد إليه بمهمة القضاء والفتيا في دولة قطر، فوقع اختيار الجميع على عبد الله بن زيد آل محمود.
تفرغ لطلب العلم فدرس وحفظ الكثير من الكتب والمتون، كمتن الزاد ومختصر نظم ابن عبد القوي، وبلوغ المرام وألفية الحديث للسيوطي، ونظم المفردات وألفية ابن مالك، وقطر الندى في النحووكثير من الأحاديث النبوية.

ومما يذكر في هذا المجال أن والدته (نورة بنت عبد العزيز أبوسعود الشثري) كانت تدعوله بدعوات متكررة في جوف الليل كان منها (اللهم ارزقه علما نافعا للمسلمين، وارزقه المال والبنين) وقد استجاب الله دعاءها.

مؤلفاته

ألف آل محمود ما يزيد على خمسين مؤلفا في مختلف القضايا الفقهية والنوازل والأسئلة التي أجاب عنها مستعينا بعلمه الغزير وفهمه للواقع المعاصر. جمعت مؤلفاته في "مجموعة رسائل الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود"، وقد طبعتها وزارة الأوقاف القطرية في ثمانية مجلدات، وتعتبر مرجعا في الأحكام الشرعية وأحكام القضاء وفقه النوازل. ومن أهم كتبه:

- الحكم الجامعة لشتى العلوم النافعة.
- بدعة الاحتفال بالمولد.
- الإيمان بالقضاء والقدر.

- عقيدة الإسلام والمسلمين.
- الدلائل العقلية والنقلية في تفضيل الصدقة عن الميت على الأضحية.
- الإصلاح والتعديل لما وقع في اسم اليهود والنصارى من التبديل.
- وجوب الإيمان بكل ما أخبر به القرآن من معجزات الأنبياء.
- يسر الإسلام في أحكام حج بيت الله الحرام.
- تحقيق البعث بعد الوفاة.
- الرسالة الموجهة إلى علماء الرياض في تحقيق القول بجواز رمي الجمار قبل الزوال.
- التحذير من انحراف الشباب.
- لا مهدي ينتظر بعد الرسول محمد خير البشر.
- واجب المتعلمين والمسؤولين في المحافظة على أمور الدين.
- أحكام عقود التأمين.
- حكم اللحوم المستوردة وذبائح أهل الكتاب.
- حكم الطلاق السني والبدعي.
- قضية تحديد الصداق.
- الحكم الشرعي في إثبات رؤية الهلال.
- كتاب الصيام.
- فضل شهر رمضان.
- أحكام مناسك حج بيت الله الحرام...وغيرها من الكتب.

توليه القضاء في قطر

في مطلع ذي الحجة عام **1359** هـ قدم الشيخ عبد الله بن قاسم آل ثاني إلى مكة قاصدا الحج بصحبته ابنه الشيخ حمد بن عبد الله وعدد من كبار أفراد الأسرة والأعيان وبعد أداء فريضة الحج طلب من الملك عبد العزيز آل سعود أن يبعث معهما برجل يصلح للقضاء

والفتيا حيث كانت قطر في ذلك الوقت دون قاض بعد أن غادرها محمد بن مانع وقد وقع اختيارهما على الشيخ عبد الله بن زيد بإيعاز من الشيخ ابن مانع وقد صدر الأمر إليه بالتوجه معهما في السنة نفسها حيث تقلد أمانة القضاء في أواخر ذي الحجة عام **1359**هـ.

ومنذ ذلك الوقت وحتى وفاته وهومرجع الفتيا في دولة قطر والقاضي العادل ومؤسس القضاء الشرعي فيها ومنشئ نظام تسجيل الأحكام والعقارات وراعي أموال اليتامى واستثمارها وتبنى منهجا فريدا يتمثل في قيام المحكمة الشرعية باستثمار أموال اليتامي وتنميتها لحن بلوغهم سن الرشد واستمر في القضاء أكثر من سبعة وأربعين عاما كان خلالها مثال النزاهة والعدالة، ومقصد الناس في فض خصوماتهم والإصلاح بينهم بل ويسهم في ماله إذا كان الخصم فقيرا كان ذلك ديدنه في كل حال يجتهد في ألا تطول القضايا ولا تتشعب الجلسات للقضية الواحدة وكان يقف بنفسه لمعاينة مكان الخلاف ويتأنى كثيرا قبل إصدار حكمه ومتى ما اتضح له الحق حكم به.

وفوق هذا كله والقضاء عمل شاق وصعب ويحتاج إلى صبر وتضحية وجلد وإخلاص كان الشيخ يرى أن من واجباته تبيين أحكام هذا الدين العظيم للناس فكان يخصص وقتا للإفتاء والدرس ووقتا آخر لقضاء حوائج الناس والشفاعة لهم ومد يد العون لهم من ماله وجاهه وهذا كرم منه وسنة وحسنة أخذها من شيوخه الأبرار والأطهار.

آثاره ورسائله العلمية

لم يكن ابن محمود بالذي يكتفي بالوعظ والإرشاد بل سارع بهمة عالية وفطنة وذكاء إلى المشاركة في معالجة قضايا المسلمين وما يعيشون في عصرهم وفق منهج القرآن وهدي النبي عليه الصلاة والسلام. وهذا ما تبرزه الرسائل التي ناقش فيها النوازل والتي عاشتها أمتنا المسلمة مبرزا فيها منهجه الفقهي الرصين والمتميز وموضحا قدرة هائلة في اقتضاء الدليل والتحرر من التقليد ومعاجلة الأمور برؤية صادقة تنشد التيسير على المسلمين دون أن يلوي عنق الدليل بل يجتهد ما وسعه الاجتهاد.

وكانت له اجتهادات فقهية، خالف فيها الكثير من الفقهاء القدامى والمعاصرين، كإنكاره المهدي المنتظر، وتفضيله الصدقة عن الميت على الأضحية، ورفع الحرج عن الأمة في مناسك الحج، كجواز الرمي قبل الزوال، وجواز الإحرام للحاج والمعتمر من ركاب الطائرات إذا نزلوا في جدة، وجواز إخراج صدقة الفطر بقيمتها من النقود، وفتواه بالانتفاع بالمقابر القديمة إذا أصبحت وسط البنيان، وغير ذلك من الاجتهادات الفقهية.
وقد بلغت رسائله أكثر من ثلاثين رسالة تبرز ما للشيخ من باع طويل في الاجتهاد ونشدان الحق والتمسك به والدعوة إليه. إنه فقيه مجتهد وعالم محقق وداعية رائد في تحبيب الناس للخير ودلالتهم عليه وهوما يحتاجه الناس في عصرنا من دعوة باللين والرفق وعطف عليهم وتقدير لضروفهم.

ويحدد الفقيه الرائد الشيخ ابن محمود ملامح منهجه في مقدمة إحدى رسائله، فيقول: "إن المخلص الناصح والبصير الناقد يجب عليه أن يثبت في الرد والنقد وأن يقدر ضرورة الحال والمحل فلكل مقام مقال والعلة تدور في المعلولات وجودا وعدما وتختلف الفتوى باختلاف الزمان والمكان فيما لا يتعلق بأصول العقيدة والأركان وقد جاءت هذه الشريعة السمحة لجلب المصالح وتكثيرها ودرء المفاسد وتقليلها ومن قواعدها المعتبرة أنه إذا ضاق الأمر اتسع والمشقة تجلب التيسير ويجوز ارتكاب أدنى الضررين لدفع أعلاهما والحرج منفي عن الدين جملة تفصيلا: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَج﴾ (الحج: **78**) ﴿يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ (البقرة: **185**) لأن الدليل عدل الله في أرضه ورحمته في عبادة شرع لإسعاد البشرية في أمروهم الروحية والجسدية والاجتماعية ولوفكر العلماء بإمعان ونظر لوجدوا فيه الفرج والمخرج من كل ما وقعوا فيه من الشدة والحرج ومن صفة رسول اللهعليه الصلاة والسلام أنه:﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (التوبة: **128**).

هذه سماحة الإسلام يعضدها الشيخ الكريم بقوة الدليل وحاجة العصر ومقاصد الشريعة إنه اجتهاد يرفع الحرج عن المسلم ويبين له أحكام الدين بيسر وسهولة. وهكذا كان الشيخ نبراسا وضاء ومعقد الأمل والرجاء وداعية مخلصا إلى عقيدة صافية لا تشوبها شائبة وله الفضل بعد الله في تأكيد العقيدة الصحيحة ونشرها في بلاد قطر وعدد من دول الخليج.

خصاله ومناقبه

لعل من أبرز مناقب الشيخ السماحة والكرم والجود والإنفاق بلا حدود في أوجه الخير وصلة الرحم والبر بالأقارب والأهل والتواصل معهم، والعطف على الأيتام وتفقد أحوال المساكين. ولمثل صاحب هذه الأخلاق الحميدة يقصده الناس لقضاء حوائجهم كما كان مشاركا لهم في أفراحهم واتراحهم كما كان يعود المرضى ويزورهم العاجز ويحرص على صلاة الجنائز ويشيعها حتى المقبرة والتعزية فيهم وإلقاء موعظة قصيرة على أهل المتوفين. كان همه مساعدة الناس أينما كانوا. ولذا عرفه الناس وسموه (أبا المساكين) و(أبا اليتامى) لما له من أياد بضاء في مساعدتهم. كما قام بتأسيس دائرة الأوقاف والتركات عام **1380**هـ (**1960**م) بجانب اهتمامه ببناء المساجد والحرص على تنمية الأوقاف.

ولابن محمود سبعة عشر ولدا وعدد آخر من البنات وجميع الأولاد انهوا دراساتهم الجامعية وبعضهم واصل الدراسات العليا وكل أولاده يعملون ويساهمون في التنمية الحديثة في دولة قطر في السلك المدني والعسكري ويتصفون بالسيرة الحسنة والنزاهة والالتزام. منهم من تقلد مناصب عليا في الدولة في أوقات مختلفة: عبد الرحمن عبد الله آل محمود (رئيسا للمحاكم الشرعية) وأحمد بن عبد الله آل محمود (وزيرا للخارجية) وعلي بن عبد الله (سفيرا) وغيرهم.

قالوا عنه

كثيرون ممن كتبوا عن الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود، فعددوا خصاله ومناقبه ووصفوا أخلاقه وسجاياه فقالوا عنه إنه علامة قطر وقاضي قضاتها وفقيهها الأكبر، وخطيب مسجدها الأعظم، وأول رئيس لمحاكمها الشرعية، وشؤونها الدينية، وأشهد وقالوا إنه كان صوَاماً قوّاماً، كثير التلاوة لكتاب الله – عز وجل –، مشغولا بالعلم دراسة وتعليما وتأليفا وقضاء، مشغولاً بقراءة كتب التفسير والحديث والفقه.

ومن خصائص فقه الشيخ: تحرره من التقليد والعصبية والمذهبية، ومعرفته بالواقع المعيش وما يعانيه الناس فيه، ونزعته إلى التجديد، وتمرده على كثير من القضايا المسلّمة عند علماء زمنه ومذهبه، وميله إلى التيسير على الخلق، ورفع الحرج عنهم، وشجاعته الأدبية، فقد كان يصدع برأيه إذا اعتقد أنه الحق الذي وصل إليه بالدليل.

وتم تقسيم رسائله إلى نوعين: رسائل عادية تتضمن توجيهات ونصائح أشبه بالخطب المنبرية، بل هي في الغالب من خطب الجمعة التي يحضّرها الشيخ ويتعب عليها ويغذيها بالنصوص والحكم والأشعار حتى تتضح.

والنوع الآخر: رسائل علمية فقهية، تهدف إلى تحقيق مسألة معينة، وإبداء الرأي فيها عن طريق الترجيح والاجتهاد المبني على النصوص النقلية، وفهم القواعد الكلية، والمبادئ العامة للشريعة، ومراعاة مصالح الخلق ومقاصد الشرع. وهذه هي التي صال فيها قلم الشيخ وجال، وأتى فيها بالجديد والطريف، وجعلت له كثيرا من المعجبين، كما أهاجت عليه كثيرا من المنكرين، وقلّ من الناس من ليس له مادح وقادح، إلا الخامل من الناس الذي يعيش بينهم حيا كميت وموجودا كمفقود، فهولا ينفع ولا يضر، ولا يُحزن ولا يسر.

كما تحدث البعض عن تركته العلمية بأنها تركة عظيمة من المؤلفات والرسائل التي تحوي حكماً جامعة لشتى العلوم النافعة، واجتهادات صائبة وآراء سديدة، يلوذ بها ويعمل بمقتضاها ملايين المسلمين في أيامنا هذه، وقالوا إن الشيخ وقف سدا منيعا أمام مظاهر الفتن والبدع، وحرص على التيسير والتسهيل على المسلمين، والتبشير لا التنفير، وتحمل في سبيل منهجه الانتقادات اللاذعة، لدرجة الطعن في شخصه، ولكنه وقف بكل شموخ وثبات وصلابة، ولم يأبه بكل ذلك.

مركز آل محمود الثقافي الإسلامي

ويعتبر "مركز الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود الثقافي الإسلامي"، من أبدع المنشآت الوقفية على ضفاف الخليج، تتجلى روعته في رسالته الحضارية العالمية، وفي طرازه المعماري، ومئذنته التي تعانق السماء، على غرار مئذنة جامع أحمد بن طولون بمصر القديمة، ومئذنة سامراء الحلزونية التي تعد واحدة من أبدع آثار العراق الإسلامية.

ومنذ تأسيسه، يقوم المركز بدور مهم في إبراز الثقافة الإسلامية، والتأكيد على المعاني الثقافية والحضارية للإسلام، ومبادئه العالمية، وقيمه الإنسانية، لجمهور واسع من غير المسلمين ينتمون إلى أعراق وثقافات شتى، إلى جانب التعريف بالثقافة القطرية، والتراث العربي الأصيل لدولة قطر، وهودور يتكامل مع الأدوار الحضارية العالمية لدولة قطر على مختلف الأصعدة السياسية والاقتصادية والإنسانية والثقافية والاجتماعية والرياضية وغيرها من الأدوار التي تعزز السلام والتعايش والحوار بين الشعوب.

في **13** يناير **2008** افتتح المركز، في حفل مهيب، تحت اسم مركز قطر الثقافي الإسلامي "فنار"، قبل أن يتغير اسمه إلى مركز عبد الله بن زيد آل محمود الثقافي الإسلامي في مايو **2013**، تقديرا لفضيلة الشيخ آل محمود -رحمه الله- واعترافا بدوره المخلص في خدمة بلده ودينه، وباعتباره رمزا من رموز قطر، وعلما من أعلامها.

والمركز عبارة عن وقف خيري تديره وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، تتلخص مهمته في إبلاغ رسالة الإسلام إلى غير المسلمين، بكافة الوسائل العصرية المتاحة، وإلى نشر الثقافة الإسلامية عقيدة وسلوكا وحضارة، فضلا عن توعيته بعادات وتقاليد وثقافة المجتمع القطري.

وتنطلق رؤية مركز الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود "من مفهوم حضاري يقدم الإسلام منهجا للحياة إلى الناس كافة، وبمخاطبة الأفراد والمجتمعات حسب حاجتهم وتطلعاتهم، معتمدا في تواصله على أساس بث القيم الإنسانية المشتركة، وعلى مكارم الأخلاق

واحترام الآخر بقناعة وإيمان عميق برسالة الإسلام، ليكون بذلك أكثر قربا وتعاونا مع كل من يسعى للخير".

وفاته

انتقل الشيخ عبدالله بن زيد آل محمود إلى رحمته تعالى يوم الخميس الثامن والعشرين من شهر رمضان الكريم سنة **1417**هـ، الموافق **1997/2/6** م . رحم الله الشيخ "ابن محمود" الذي أثرى إذاعة قطر بتسجيلات نادرة منذ تأسيسها سنة **1968** م وحتى وفاته من خلال دروسه الأسبوعية وحديث الجمعة الذي كان يستمع له كل أهل قطر عبر الإذاعة في تلك الفترة وحتى أواخر أيام حياته، وهي بلا شك تعد ثروة فكرية لا تعوض بثمن.

الشيخ محمد المانع
باعث النهضة العلمية بدول الخليج

هوحافظ السنة، وآية العلوم العربية العلامة الفقيه الشيخ محمد بن عبد العزيز بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن مانع، الرجل الذي كان أمة في نشاطه وجهده وعمله وحركته فاستطاع أن يرسي قواعد التعليم الحديث في دول الخليج أجمع.

ميلاده ونشأته

ولد ـ رحمه الله ـ في مدينة عنيزة إحدى مدن القصيم ليلة السبت **9** ربيع الآخر سنة ألف وثلاثمائة من الهجرة الموافق**1882** م، في بيت علم ودين وورع وتقوى، فجدّه محمد عبد الله المانع (ت**1291**هـ) الملقب بـ **"أبوالفقهاء"** حيث كان أبناؤه الثلاثة عبد العزيز وعبد الرحمن وعبد الله كلهم قضاة، وجده لأمه الشيخ عبد الله البابطين كان مفتي الديار النجدية في زمنه.

ووالده هوالشيخ عبد العزيز بن محمد بن مانع قد اشتهر بالعلم والفضل، عين قاضيا على شقر، ثم انتقل للعمل بقضاء عنيزة مصطحبا معه أهله وأولاده، ونزل في عنيزة واتخذها له بلدا، فكان أول من سكن عنيزة من آل مانع، وقد أحبه أهلها وأكرموه إكراما لم يعهد لأحد غيره لحسن أخلاقه وملاطفته وتحببه إلي الخاص والعام، فكان لا يغضب إلا نادرا، ولا يؤاخذ بالجفوة ولا يعاتب علي الهفوة، وكان ذكيا أديبا أريبا عاقلا فاضلا مكرما للغرباء خصوصا طلبة العلم منهم..

ولم يلبث والده أن توفي، ولكن ذلك لم يحل دون إتمامه حفظه للقرآن الكريم، حيث كفله عمه عبد الله وتولى مسؤولية تعليمه وتربيته ؛... كما أن أمه أصرت على أن يكون وريث آبائه في العلم، فهويقول :**"**لما توفي والدي كنت صغيراً فقالت والدتي اذهب إلى تلميذ جدك وشيخ أبيك الشيخ محمد بن عبد الله بن سليم**"** في بريدة فاقرأ عليه، قال فذهبت إليه في بريدة فرحب بي وأكرمني واعتبرني كأحد أبنائه، ولازمته حتى توفي – رحمه

الله-، وكنت في سن الشيخ عمر بن الشيخ محمد بن سليم فكنا نتنافس أينا يسبق الآخر في أخذ حذاء الشيخ محمد بن سليم فيقدمها له عند خروجه من المسجد".

رحلاته في طلب العلم

لما بلغ الثامنة عشرة بدأ في الارتحال في طلب العلم كعادة العلماء العظام، فشد الرحال إلى بغداد عقب وفاة أستاذه الشيخ محمد بن عبد الله بن سليم، فحسب أحد الفضلاء - وهوالشيخ علي المقبل - أن العوز هوالذي دفعه للسفر، فكتب إلى عمه الشيخ عبد الله بن مانع يعاتبه على السماح له بالسفر، ويقول: إذا كان عليه حاجة فإنه مستعد للإنفاق عليه، ودفع ما يحتاج إليه، فاعتذر عمه وقال: إنه لم يسافر من حاجة، وإنما رغبة في التزود من العلم، وليس من حاجة إلى المال.

وفي بغداد اتصل بالشيخ محمود شكري الآلوسي، فقرأ عليه في النحووالصرف والفقه والفرائض والحساب، ثم توجه إلى مصر، فأقام في الأزهر مدة ثلاث سنوات، حضر خلالها دروس ولقاءات للشيخ محمد عبده، ومحمد رشيد رضا، كما قرأ الروض المربع شرح زاد المستقنع وبعضاً من شرح دليل الطالب، وقرأ النحووالعلوم السائدة في الأزهر على الشيخ محمد الذهبي أحد المدرسين برواق الحنابلة..

وبعدها سافر إلى دمشق فلازم علامة الشام جمال الدين القاسمي، وسمع عليه صحيح البخاري، كما حضر عند الشيخ بدر الدين محدث الشام في الجامع الأموي، وحضر دروس العلامة عبد الرزاق البيطار.

ثم رجع إلى بغداد مرة أخرى، ولازم القراءة على العلامة محمود شكري الألوسي، فقرأ عليه كثيراً من مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية، وقرأ عليه كثيراً من الرسائل المختصرة في المعاني والبيان والبديع.

بالإضافة إلى شرح السلم وشرح الدمنهوري وشرح الرسالة الأندلوسية لعبد الباقي

الألوسي والأمثلة والبناء في التصريف، وشرح السعد على العزي، ومغني اللبيب لابن هشام..

وقرأ على الشيخ عبد الوهاب أفندي النائب أمين الفتوى في بغداد في بعض كتب آداب البحث والمناظرة..

وقرأ دليل الطالب في الفقه الحنبلي وشرح الأزهرية في النحوفي المدرسة المرجانية على الشيخ عبد الرزاق الأعظمي..

ولا عجب فقد كان جادا مجدا مواصلا ليله بنهاره في القراءة والتحصيل وإدمان المراجعة والبحث، وحتى في وقت مرضه الشديد لم يسمح لنفسه بالانقطاع عن العلم، فطلب من أحد شيوخه أن يجلس عند رأسه، فيقرأ عليه من الكتب مع شدة وطأة المرض عليه.

صفاته وأخلاقه

كان ـ رحمه الله ـ شغوفا بالعلم، محبا لأهله من علماء وطلاب، مشجعا على طلبه، حريصا على تأصيل العقيدة الصحيحة في القلوب، باذلا في سبيل ذلك ما يستطيع من جهد ونصح ومال ووقت، فهوأينما حل يدعوإلى توحيد الله بالعبادة، والبراءة من الشرك، ويبحث عن الكتب التي تؤصل ذلك في النفوس حمية منه لدين الله، ويهتم بالعلم حثا عليه وترغيبا فيه، ولذلك بانت آثاره في كل محل مر به، وفي كل بلاد اتجه إليها ضمن أسفاره العديدة: عالما ومتعلما.

وهودؤوب على ذلك حتى مع الصغار الذين يهتم بحسن التوجيه لهم.. سؤالا ومتابعة، وترسيخا للمعلومات، إذ يناقش الطلاب في الفصول المدرسية، ويراعي ذلك في الكتب التي تقدم لهم على مقاعد الدراسة، ويناقش المعلمين لئلا يبدر منهم خلفيات تؤثر في عقائد الناشئة، وقد بان أثر ذلك على المدارس عندما كان مديرا عاما للتعليم.

كما كان طلق الوجه، حسن الخلق، نديما للجليس، من أوعية الحفظ، مفرط الذكاء حاضر البديهة.

ذكاؤه وهمته العالية

وكان رحمه الله نبيها مفرط الذكاء، ولديه موهبة، ومن أوعية الحفظ، فنبغ في فنون عديدة، وكان قوي البديهة، أكب على كتب الحنابلة، وعلى كتب الشيخين ابن تيمية وابن القيم.. واسع المعرفة لدرجة أن أحد تلامذته قال: حاولت عد الكتب التي قرأها على مشايخه، فوجدتها شيئا يضيق النطاق عن عده.

أعماله الدعوية

كانت الدعوة إلى دين الله الحق، وتوضيح منهج السلف الصالح للناس، والرغبة في تبليغ ما أعطاه الله من علم، من أهم الهواجس التي تعتمل في جوانحه. ولذا كان في طلبه العلم معلما يبين حقيقة التوحيد ويدافع عن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية بين زملاء الطلب، ومع معلميه في كل من العراق والشام ومصر، وفي البحرين والأحساء وقطر، بل وفي مهد طفولته عندما كان يتعلم في القصيم.

أقوال العلماء وثناؤهم عليه

وقد أثنى عليه كثير من العلماء والكتاب، مثل صلاح بن إبراهيم الزامل الذي كتب في مقال له بمجلة المنهل في شهر ذي القعدة من عام **1415**هـ يقول: "شرع في طلب العلم بنهم وشغف، وساعده على ذلك قوة الحفظ فكان من أوعية الحفظ ...، ثم يقول: ولا أظن وجود عالم نجدي مثل الشيخ محمد بن مانع -رحمه الله- طاف هذه البلاد متحملا مشاق السفر وخطورته قبل استتباب الأمن وقبل توحيد المملكة.. ".

والسيد ولي الدين أسعد الذي قال:" إنه من العلماء الأعلام الأفذاذ في البلاد العربية،

فهوأشبه بدائرة معارف إسلامية متحركة يصدر منها إشعاع المعرفة والعلم بين أرجاء الجزيرة العربية "..وقال عنه الشيخ عبد الله بن بسام في كتابه: علماء نجد خلال ستة قرون:" كان جادا مجدا، مواصلا ليله بنهاره في القراءة والتحصيل، وإدمان المراجعة، وكان لا يضيع من وقته قليلا ولا كثيرا.. وكان مع هذا سريع الحفظ، بطيء النسيان، حاضر الخاطر ".

ويقول عبد الرحمن الشعلان رئيس المحكمة المستعجلة بمكة والإمام بالمسجد الحرام - سابقا-: لقد كان شيخنا، وقال الدكتور محمد بن سعد الشويعر في مقال له بمجلة البحوث الإسلامية: "واحد من علماء هذه البلاد الذي اهتموا بالعلم وبذلوا طاقتهم في نيل المراتب الرفيعة منه متابعة وشدا للرحال؛ بدافع الهمة وحب العلم لذات العلم، حيث بذل في سبيله أقصى ما يستطاع من جهد وتغرب عن الأوطان؛ إرضاء لنهمة في نفسه، وحبا في الارتقاء درجات في المكانة العلمية، وتحمل في هذا الطريق المشاق.. ".

عمله بالتدريس في العراق

وفي هذه المدة دعاه بعض الأكابر من أهل بغداد ليكون إماماً له، ويقرأ عليه كتب الحديث، فقرأ عليه بعضاً من صحيح البخاري وجميع صحيح مسلم والجزء الأول من زاد المعاد لابن القيم والجزء الأول من مسند الإمام أحمد بن حنبل والموطأ للإمام مالك، وكثيراً من كتب التاريخ، وقرأ نزهة النظر للحافظ ابن حجي..

عودته إلى بلدته

ثم رجع إلى بلده مدينة عنيزة سنة **1329**هـ، فقرأ على قاضيها الروض المربع شرح زاد المستقنع وغير ذلك.. ثم توجه إلى بلد "الزبير " بالعراق سنة **1330**هـ فقرأ على الفقيه الحنبلي المشهور في بلدة الزبير " محمد العوجان " في الفقه الحنبلي والفرائض والحساب.

انتقاله إلى البحرين

كانت حملات التنصير في ذلكم الوقت قد وصلت إلى البحرين عام **1893**م وتأسست أول مدرسة للتعليم بالأسلوب الغربي الحديث في البحرين على يد البعثة الأمريكية التي بدأت أعمالها سنة **1892**، وفي عام **1884** افتتحت الإرسالية الأمريكية مكتبة عامة لها بالمنامة وبدأت عملها في تقديم بعض الصحف والكتب لروادها، ثم وصلت طلائع هذه الحملات الغربية إلى البحرين في نهاية القرن التاسع عشر، عبر الإرسالية الأمريكية التي تشكلت من مستشفى ماسون التذكارية، و"دكان لبيع الإنجيل" حسب ما ورد في التقارير الإنجليزية..

ورغم المعارضة الشعبية لهذه الأنشطة وعزوف الأهالي عن تدريس أبنائهم بهذه المدارس إلا أن النخب الواعية في البحرين لم تطمئن لهذه الأنشطة، وبدت تفكر في إنشاء حملات مقاومة لها، وذلك عن طريق إنشاء مكتبة خاصة وأخرى عامة تعرف بمكتبة "إقبال أوال" لمقاومة هذه الحملات، وحينها كان مجلس الشيخ "إبراهيم بن محمد آل خليفة" يعد من أهم المنتديات الثقافية في البحرين آنذاك، كما كان "مقبل بن عبدالرحمن الذكير" واحداً من أهم مثقفي البحرين المشاركين والفعالين في المجلس، وقد عهد إليه الشيخ "إبراهيم بن محمد آل خليفة" مهمة جلب الصحف العربية "المقتطف" و"المؤيد" و"المنار"..

فارتأى هذا الرجل مع صديق له يسمى "يوسف كانو" ضرورة استضافة أحد العلماء الكبار لمقاومة هذه الحملات التغريبية في البلاد؛ فتوصلا إلى أن أفضل من يمكنه استلام إدارة النادي هوالعالم "محمد بن عبد العزيز المانع"، وأنه لابد من العمل على إحضاره من مقر إقامته بالبصرة، وبعد أسابيع من المراسلات حضر الشيخ المانع من البصرة حاملاً معه خبرة أساتذته في مقاومة التبشير الذين تتلمذ على أيديهم في مصر والعراق أمثال الشيخ "محمد عبده"..

انتقاله إلى قطر

ثم استدعاه أمير قطر آنذك عبد الله بن قاسم بن محمد بن ثاني ليعينه على نشر الوعي الديني والثقافي ويرسي قواعد التعليم بقطر، فتوجه إليها في شهر شوال سنة **1334**هـ، وتولى القضاء والخطابة والتدريس.

وكان نظام التعليم السائد في قطر ـ وقتها ـ شأنه شأن سائر مناطق الخليج قائم على نظام الكتاتيب، وهي عبارة عن شخص متطوع يمسي عادةً "المطوع" أو"الملا" يقوم بتدريس أبناء القرية مبادئ القراءة والكتابة والحساب والقرآن الكريم.

فلما حضر ابن مانع أوكل إليه حاكم قطر إنشاء مدرسة في الدوحة، وبالفعل تم افتتاح أول مدرسة أطلق عليها اسم (المدرسة الأثرية) واستمرت هذه المدرسة لمدة خمسة وعشرين عاماً، منذ عام **1913** حتى عام **1938**م، وكانت الدراسة فيها مخصصة للكبار، ويتكون المنهج الدراسي من المواد الشرعية والفقه واللغة والبلاغة والأدب.

وقد حظيت المدرسة الأثرية بالرعاية الكاملة من الشيخ عبد الله بن قاسم آل ثاني، وكانت تشجع الطلاب على البحث والدراسة من خلال طريقة حل المشكلات، حيث كان الشيخ يطرح على طلابه مسائل علمية في مجال علوم الدين أواللغة، ويطلب منهم البحث عنها في الكتب والمراجع، فيبدأ الطلاب بجمع المعلومات ثم يقوم الشيخ بطرح ما جمع من المعلومات وعرضها للمناقشة والتحليل والتعليق حتى يصل مع طلابه إلى معرفة أطراف المشكلة وطريقة حلها..

بهذه الطريقة تخرج على يديه طلبة مؤهلون للتدريس من بعده، وكان يدربهم كذلك على إلقاء خطب الجمعة والدروس.. كما حرص على توفير المراجع والكتب الهامة لطلابه بتكوين مكتبة في المدرسة احتوت على عدد كبير من الكتب التي جمعها من خلال تبرعات أهل الخير. وكان له أيضا دور في السماح للنساء بالتعليم في قطر.

عودته إلى المملكة السعودية

وفي صفر سنة **1358** هـ قدم الإحساء، ومكث بها إلى شهر جمادى الآخرة من السنة المذكورة، وحصل أن تقابل في الإحساء مع الشيخ عبد الله السليمان الحمدان، فأشار عليه بلقاء الملك عبد العزيز، فقبل ذلك، وقدم على الملك في مدينة الرياض فأكرمه وعينه مدرساً في الحرم الملكي الشريف..

وفي مكة سمع به الطلاب فاجتمع عليه عدد كثير منهم، يقرءون عليه في الفقه والحديث والنحووالفرائض.. ثم أسند إليه رئاسة: هيئة تمييز القضايا، وهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهيئة الوعظ والإرشاد.

وقام بهذه الأعمال إلى جانب قيامه بالتدريس في المسجد الحرام، حيث ظل محافظا على دروسه بعد صلاة الفجر وبعد صلاة المغرب، وفي عام **1364**هـ عينه الملك مديراً للمعارف. وفي سنة **1366**هـ أسست دار التوحيد، وأسندت إليه، فجمع بين كل تلك الوظائف إلى أن شكلت وزارة المعارف سنة **1373**هـ.

وعلى الرغم من أنه لم يكمل في هذا العمل عشر سنوات إلا أنه عمل خلالها بجد واجتهاد لاستكمال النظام التعليمي والهيكل التنظيمي للمديرية، ووضعت الأنظمة واللوائح اللازمة، كما تم افتتاح الكثير من المدارس في جميع المراحل، حيث كان عدد المدارس الابتدائية في بداية عمله سنة **1364**هـ حوالي **54** مدرسة، فأصبحت عند نهاية عمله سنة **1373**هـ حوالي **326** مدرسة، ليس ذلك فحسب بل كان له دور كبير في إصلاح المناهج الدراسية.

كما أظهر عناية خاصة بالمعاهد العلمية، وفي عهده كانت أول تجربة للتعليم العالي في البلاد، حيث أنشئت كلية الشريعة في مكة **1369**هـ، كما أنشئت كلية المعلمين **1372**هـ.

العودة إلى قطر مرة أخرى

كان الشيخ قد وضع خدماته وجهوده رهن طلبات حكام دول الخليج، كل من ناده أسرع إليه، يقول الشيخ عبد الله البسام: في عام **1374** هـ عاد الى قطر وصار مشرفا على سير التعليم فيها وإصلاح مناهجه، ومستشارا وإماما وخطيبا لجامع الدوحة، وصار لكلمته نفوذ وسدد في أعماله، وقد استقبله أهل قطر استقبالا رائعا، وتم تعيينه مشرفا على التعليم والشئون الدينية.

مرضه ووفاته

أصيب الشيخ بمرض بعد أن جاوز عمره الرابعة والثمانين، فسافر إلى بيروت ودخل مستشفى الجامعة الأمريكية، وأجريت له عملية جراحية توفي على إثرها في **17** من شهر رجب عام **1385** هـ ونقل إلى قطر، وصلي عليه في جامعها، وخرج أهالي الدوحة مع جنازته وحزنوا لفراقه حزنا شديدا، ورثي بمرثيات عديدة، وصلي عليه صلاة الغائب في المسجد الحرام والمسجد النبوي، ودفن في المقبرة الشرقية بالدوحة.

تقي الدين عثمان
ابن الصلاح وإصلاح علم الحديث

في سنة (**577** هـ - **1181**م) وُلد "تقي الدين عثمان بن الصلاح عبد الرحمن بن عثمان" في بلدة "شرخان" قرب "شهرزور" التابعة لإربيل بالعراق، وغلب عليه لقب أبيه الصلاح عبد الرحمن، فصار لا يعرف إلا به.

وكان والده من مشايخ بلدته، فأولاه عنايته؛ حيث عهد به إلى من حفّظه القرآن وعلمه التجويد، ثم تلقى على يديه علومه الأولى في الفقه، وقد أرسله إلى "الموصل" فسمع الحديث من "أبي جعفر عبيد الله بن أحمد" المعروف بابن السمين، فكان أول شيوخه بعد أبيه، ثم تردد على عدد من علماء الموصل يسمع منهم الحديث، ولزم أستاذه "عماد الدين أبا أحمد بن يونس" الذي اصطفاه معيدًا له، فأقام لديه فترة، ثم بدأ الرحلة في طلب الحديث، فرحل إلى همذان ونيسابور ومرووبغداد ودمشق يسمع من أعلامها ويروي عنهم.

الاشتغال بالتدريس

وبعد هذه السياحة الطويلة في طلب العلم، استقر في مدينة القدس في بادئ الأمر مدرسًا بالمدرسة الصلاحية نسبة إلى صلاح الدين الأيوبي، وأقبل الناس عليه لِمَا رأوا من علمه وتقواه، ثم انتقل إلى دمشق تسبقه شهرته وفضله، فتولى التدريس في المدرسة الرواحية، ولَمّا بنى الملك الأشرف ابن الملك العادل دار الحديث الأشرفية، تولى ابن الصلاح أمرها والتدريس بها، ثم عهد إليه- إلى جانب ذلك- التدريس في مدرسة "ست الشام"، وهي المدرسة التي أنشأتها "زمرد خاتون" بنت "أيوب" زوجة "ناصر الدين بن أسد الدين شيركوه" صاحب حمص.

ويذكر المؤرخ الكبير ابن خلكان أنه قدم عليه في (شوال **632**هـ - مايو**1235**م) وأقام عنده، وذكر أنه كان يقوم بوظائفه على خير وجه دون إخلال، وقد تتلمذ عليه كثيرون، منهم: ابن خلكان، وفخر الدين عمر بن يحيى الكرجي، وزين الدين الفارقي، وغيرهم.

مقدمة ابن الصلاح

لم تشغله أعباء مناصبه عن الفتيا والتأليف، فصنّف في علوم الحديث والرواية، والرجال والفقه، بالإضافة إلى شروحه وأماليه وفتاواه، ومن تلك المؤلفات: "شرح صحيح مسلم"، و"أدب المفتي والمستفتي"، و"طبقات فقهاء الشافعية"، و"مشكل الوسيط في فقه الشافعية"، و"مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث"، وقد جمع في هذا الكتاب ما انتهت إليه جهود العلماء الذين سبقوه من المشارقة والمغاربة، وأحسن تصنيفها وثبوتها.

وقد تلقت الأمة هذا الكتاب بالقبول، واستأثر بمنزلة خاصة عند العلماء في عصر ابن الصلاح والعصور التي تلته، وتتابع عليه العلماء شرحًا وتلخيصًا ونظمًا، وعَدُّوه أحسن ما صنف أهل الحديث في معرفة اصطلاح الحديث.

فلخصه الإمام محيي الدين النووي المتوفى سنة (**676**هـ - **1277**م) في كتاب سماه "الإرشاد إلى علم الإسناد"، ثم اختصر التلخيص في كتابه "التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير"، وهوالذي شرحه الحافظ السيوطي في كتبه التدريب، كما اختصر المقدمة قاضي القضاة "بدر الدين بن جماعة" المتوفى سنة (**733**هـ - **1332**م) في كتابه "مختصر مقدمة ابن الصلاح".

وقد نظّم قاضي "القضاة شهاب الدين الخولي" المتوفى سنة (**693**هـ - **12933**م) مقدمة ابن الصلاح شعرًا في أرجوزته "أقصى الأمل والسول في علوم أحاديث الرسول"، وقام بهذا العلم أيضًا الحافظ "زين الدين العراقي" في ألفيته (أي ألف بيت) المعروفة بألفية العراقي، وعمل لها شرحًا سماه "فتح المغيث".

وقام جماعة من كبار حفاظ الحديث فوضعوا شروحًا لتلك المقدمة، يأتي في مقدمتها: "محاسن الاصطلاح" لسراج الدين البلقيني المتوفى (**805**هـ - **1402**م)، و"التقييد وإيضاح لما أطلق وأغلق من كتاب ابن الصلاح" لزين الدين العراقي المتوفى (**806**هـ - **1403**م)، ويجدر بالذكر أن الدكتورة "عائشة عبد الرحمن" قد نشرت في مصر مقدمة

"ابن الصلاح" مع كتاب "محاسن الاصطلاح" نشرة علمية دقيقة، مع مقدمة نفيسة، سنة (**1394**هـ - **1974**م).

وفاة ابن الصلاح

وبعد حياة حافلة تُوفي ابن الصلاح في دمشق في سحر الأربعاء الموافق (**25** من ربيع الآخر **643**هـ - **19**من سبتمبر **1245**م)، وقد ازدحم الناس للصلاة عليه.

عبد السلام العبادي
أمين عام مجمع الفقه الإسلامي الدولي

انتقل إلى رحمة الله تعالى يوم الإثنين **11** أغسطس **2020** في جدة بالمملكة العربية السعودية، أمين عام مجمع الفقه الإسلامي الدولي، ووزير الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية الاسبق الدكتور عبد السلام العبادي، عن عمر ناهز **77** عاما. وكان – رحمه الله – صاحب مكانة علمية رفيعة ولديه الكثير من الكتب القيمة والأبحاث النافعة والدراسات، وله إسهامات كبيرة في خدمة الإسلام والمسلمين على مدار عدة سنوات كثيرة، تولى فيها العديد من المناصب التي استطاع من خلالها أن يخدم الأمة العربية والإسلامية.

الدكتورعبد السلام العبادي أردني الجنسية، من مواليد الأردن عام **1943**م، حاصل على شهادة الدكتوراة في الفقه المقارن من جامعة الأزهر بمرتبة الشرف الأولى، مع التوجيه بطباعة الرسالة وتبادلها مع الجامعات العالمية، قبل أن يصبح وزيرا للأوقاف ويعمل رئيسا لجامعة آل البيت ورئيس لمجلس الأمناء فيها، بالإضافة إلى منصب أمين عام وزارة الأوقاف والمقدسات في الأردن.

شغل الدكتور عبد السلام العبادي العديد من المناصب المرموقة في السعودية والأردن منها وكيل وزارة الأوقاف ومدير عام مؤسسة تنمية اموال الايتام، وأمين عام الهيئة الخيرية الاردنية الهاشمية ورئيس اللجنة التنفيذية متطوعا.

ويعتبر – رحمه الله – شخصية لها مكانة علمية رفيعة، ولديه الكثير من الكتب القيمة والأبحاث النافعة والدراسات، منها التي أسهمت في تطوير وزارة الأوقاف بالأردن، حيث تسلم العبادي حقيبية وزارة الأوقاف خمس مرات، كانت أول مرة عام **1993**، ويعتبر أكثر وزيرا تسلم الحقيبة نفسها، نظرا لتمسك رؤساء الحكومات في الأردن بشخصية العبادي لهذا الموقع بالنظر إلى انجازاته في الوزارة. وقد أتاحت له الفترة الزمنية التي قضاها في وزارة الأوقاف لاجراء وتنقيذ جميع الخطط والدراسات لتطوير هذه الوزارة.

نشأته ومؤهلاته

نشأ العبادي وترعرع لدى أسرة محافظة وملتزمة بالشريعة الإسلامية ثم أكمل دراسته الابتدائية والإعدادية والثانوية في المدرسة العلوية وكلية الحسين في عمان عام **1959**م ، لينتقل إلى جامعة دمشق التي حصل منها على شهادة الليسانس في الشريعة الإسلامية ثم عاد إلى الأردن ليعمل مدرساً في المدارس الثانوية لمدة ثلاث سنوات ، ولكن طموحه دفعه للانتقال إلى جامعة الأزهر فحصل منها عام **1967** على درجة الماجستير في الفقه المقارن بامتياز من كلية الشريعة والقانون هناك، بالإضافة إلى بكالوريوس في الشريعة الإسلامية من كلية الشريعة والقانون، من جامعة دمشق (**1963**)م، ثم حصل على شهادة الدبلوم التمهيدي للماجستير في التاريخ الإسلامي من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة سنة **1968** ، كما نال درجة الدكتوراه في الفقه المقارن بمرتبة الشرف الأولى مع التوجيه بطباعة الرسالة وتبادلها مع الجامعات العالمية من كلية الشريعة والقانون في جامعة الأزهر عام **1972** ، بعدها عَمل كعضوهيئة تدريس في الجامعة الأردنية في كلية الشريعة لمدة عشر سنوات. كما حصل أيضا على درجة الأستاذية بتعيينه أستاذا في الفقه المقارن في كلية أصول الدين في جامعة البلقاء التطبيقية (**2003**).

مؤلفاته ومشاركاته العلمية

لعبد السلام العبادي مؤلفات علمية عديدة ومنشورة وقد شارك في تأليف كتب التربية الإسلامية لوزارة التربية والتعليم في الأردن ومن أهم مؤلفاته العلمية:

- الإيمان بين الآيات القرآنية والحقائق العلمية
- دور الاقتصاد الإسلامي في أحداث نهضة معاصرة (مع آخرين)
- الضمان الاجتماعي بين الشريعة الإسلامية والنظم الوضعية
- الرعاية الأردنية الهاشمية للقدس والمقدسات الإسلامية فيها
- كتاب الثقافة الإسلامية لمعاهد المعلمين وعدداً من كتب التربية الإسلامية للمرحلة الثانوية.

- فقه المعاملات (محاضرات ألقيت في معهد الدراسات المصرفية)
- **45** بحثاً قدمت للعديد من المؤتمرات والندوات العلمية(تناولت مواضيع كثيرة تهم المسلم في حياته فجاءت في مواضيع الفقه الإسلامي وأمور المال والاقتصاد ، الملكية في الإسلام ، حاجات الإنسان الأساسية وارتباطها بالأوضاع المعاصرة ، الزكاة ، التقريب بين المذاهب ، العولمة ، ضبط الرقابة الشرعية في ضبط أعمال البنوك..).

المناصب التي شغلها

شغل عبد السلام العبادي خلال حياته عدة مناصب منها:

- **1982 – 1988** وكيل وزارة الاوقاف (امينا عاما لها).
- **1989 – 1993** مدير عام مؤسسة تنمية اموال الايتام.
- **1993 – 2001** وزير الاوقاف والشؤون والمقدسات الاسلامية.
- **1990** امين عام الهيئة الخيرية الاردنية الهاشمية وورئيس للجنه التنفيذية متطوعا.
- **2001 – 2004** رئيس مجلس أمناء جامعة آل البيت.
- **2004 – 2005** رئيس جامعة آل البيت.
- **2005** وزير الأوقاف والشؤون والمقدسات الاسلامية.
- **2009 – 2010** وزير الأوقاف والشؤون والمقدسات الاسلامية.
- **2011 – 2012** وزير الاوقاف والمقدسات والشؤون
- **2012** وزير الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية
- **2012 – 2013** وزير الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلاميه

وحصل العبادي على العشرات من الأوسمة والجوائز مقابل تفانيه في عمله ولديه عدة أبحاث ومؤلفات، علما أنه كان قد عمل لسنوات في إدارة مؤسسة تنمية أموال الأيتام الأردنية والهيئة الخيرية الهاشمية.

وما يميز شخصية العبادي أنه تنقل في الكثير من الوظائف ذات الطبيعة الفقهية والشرعية ففي عام **1982**م عَمَّل وكيلاً لوزارة الأوقاف (أميناً عاماً لها) ثم مديراً عاماً لمؤسسة إدارة وتنمية أموال الأيتام. ونظراً لما تمتع به من صفات الاعتدال والوسطية ودماثة الخلق وهدوء جم في شخصيته كان محط اختيار الحكومات الأردنية التي تعاقبت في الفترة ما بينت عامي **1993** إلى **2001**م حيث شغل منصب وزيراً للأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية ، وليس غريباً على شخص عَرف أحكام الدين والتزم بها ودرسها وحصل على أعلى الشهادات فيها إلا وأن يكون للعمل الخيري حظ وفير لديه ، فتراه قد عَمَّل في المجال الخيري التطوعي أمينًا عاماً للهيئة الخيرية الأردنية الهاشمية ورئيساً للجنة التعاون والتنسيق مع الشعوب الإسلامية منذ عام **1987**م حيث دمج نشاطهما في نشاطات الهيئة الخيرية الأردنية الهاشمية عندما أسست سنة **1990**م.

كيف عرفه الناس؟

عرفه الناس بأسلوبه الجميل وعطفه على الضعيف ومواساته للمكلوم ورأب صدع المنكسر، يجدد ثقته بمن أخطأ ثم رجع عنه، ما رفع صوته على أحد ولا عنفه، بل يسعه بخلقه.

يحمل الأستاذ عبد السلام العبادي فكراً نيراً في علم الفقه وأصوله والشريعة ومقاصد التشريع نابعاً من صميم القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة فكرا يحمل آفاقاً ويفتح أبواباً للدارسين، كما أنه صاحب الحضور البارز في المنتديات والمؤتمرات الإسلامية في الأردن وبمختلف بلدان العالم حيث يساهم بفكره ورأيه متحدثاً وكاتباً يعرض جوانب من مبادئ الإسلام وتعاليمه كما يقدم بمقترحاته حلولاً للمشكلات والقضايا المعروضة.

كما عُرف الأستاذ الدكتور عبد السلام العبادي بنبل أخلاقه وكريم صفاته فهوالشخص الذي يلاقي الناس جميعاً بوجه مشرق ، بابه مفتوح على مصراعيه لكل مراجع أومستفتٍ أومتعلم يلقى الناس بكل تواضع فلا تفارقه ابتسامته العذبة الهشة له عبق خاص يجبرك على حبه واحترامه يحب ولا يكره ، يتواضع ولا يتكبر يجمع ولا يفرق يعيش بساطة الحياة ، يتدافع إليه البسطاء والفقراء والعامة فيكلم كلاً منهم على قدر ثقافته وعلمه ويقضي لهم مصالحهم دون تذمر أوترفع عنهم فهذا التعامل البسيط البعيد عن التكلف ينم عن شخصية ونفسية عالية عظيمة القدر ، فهوالرمز والرقم الكبير في المعادلة الإسلامية.

إنجازاته في الأوقاف

حقق العبادي خلال تسلمه لحقيبة وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية العديد من الإنجازات يوجزها فيما يلي:

- إنجاز الإعمار الهاشمي الثالث للمسجد الأقصى وقبة الصخرة المشرفة والذي تم بتبرع شخصي من الملك الحسين بن طلال من خلال لجنة إعمار المسجد الأقصى المبارك وقبة الصخرة المشرفة بالإضافة إلى إحالة عطاءات تنفيذ المرحلة الأولى لمشروع تطوير مقامات الصحابة في المزار والتي تشمل مسجد جعفر بن أبي طالب ومقام زيد بن حارثة رضي الله عنهما ومشروع مسجد أبي عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه في الأغوار الشمالية ومسجد إربد الكبير.

- إنجاز إعداد المخططات الخاصة ببقية المقامات والمساجد وذلك من خلال اللجنة الملكية لإعمار مساجد ومقامات الصحابة الشهداء وعشرات المشروعات الاستثمارية في مختلف مناطق المملكة.

- تطوير عملية الحج إسكاناً ونقلاً والبدء بالمشروع الشامل لتأهيل الوعظ وإنشاء مركز الحاسب الآلي في وزارة الأوقاف وتنظيم وتطوير العمل في دور القرآن الكريم والمدارس الشرعية وإصدار أسبوعية إعلامية عن وزارة الأوقاف باسم "الضياء" وتطوير العمل في مجلة "هدى الإسلام" والإعداد لطبعة جديدة للمصحف الشريف.

- إحياء كتب التراث الإسلامي.

أوسمته ونشاطه الفكري والأكاديمي

كان للعبادي مشاركات عديدة في مؤتمرات علمية وندوات أكاديمية في مجالات الفكر الإسلامي المعاصر والدعوة والتربية والاقتصاد الإسلامي والفقه والزكاة والحوار بين الأديان ، شارك في إعداد المناهج والكتب المدرسية والإشراف عليها في الأردن وسلطنة عُمان بالإضافة إلى إشرافه على العديد من الرسائل العلمية في الدراسات العليا الماجستير والدكتوراه في بضع جامعات، وهوعضوفي لجنة الخبراء الدولية التي درست مشروع قانون الزكاة وتطويره ، وعضوفي مجلس التصنيف الشرعي للوكالة الإسلامية للتصنيف وشارك في الاجتماعات التأسيسية لصندوق تثمير الأوقاف التابع للبنك الإسلامي للتنمية ، تم تعيينه عضواً في مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف بموجب قرار من رئيس مجلس الوزراء المصري، وتم اختياره نائباً لرئيس الهيئة الشرعية للرقابة والتصنيف التابع للمجلس العام للبنوك والمؤسسات الإسلامية بالإضافة إلى اختياره رئيساً للمجلس الاستشاري الأعلى للتقريب بين المذاهب الإسلامية المتعددة. كما اختير رئيساً للجمعية العمومية للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، بالإضافة إلى عضوية العديد من اللجان والمجالس والهيئات الإدارية والتي يصعب إحصائها وذكرها.

ونتيجة للجهود التي بذلها خلال تنقله في العديد من المناصب، فقد كان من الطبيعي أن يكافأ بأن يحصل على العديد من الأوسمة والجوائز التقديرية منها وسام الكوكب الأردني من الدرجة الأولى سنة **1993**م ووسام الكوكب الأردني من الدرجة الثانية سنة **1987**م ووسام الحسين بن طلال للعطاء المتميز سنة **2000**م ووسام الثقافة والعلوم من الطبقة الأولى من مصر سنة **1992**م ووسام الجمهورية من الدرجة الثالثة من جمهورية السودان وجائزة غاندي وكنج وكير الدولية سنة **2003**م وحصل أيضا على الميدالية الفضية لمنظمة الحماية الدولية سنة **2004**م ونال جائزة الدولة التقديرية والتشجيعية لعام **2006**م في حقل العلوم الاجتماعية في مجال دراسات في الفكر الإسلامي بالإضافة إلى الكثير الكثير من الأوسمة والجوائز.

الطيب العُقبي
أحد أركان الإصلاح في الجزائر

يعتبرالشيخ الطيب العقبي علم من أعلام الجزائر وواحد من أكبر علمائها وأشهر دعاتها، ورمز من رموز الدعوة فيها، وذلك بشهادة أنصاره ومحبيه وباعتراف أعدائه ومخالفيه. فهومن أعمدة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وأحد رواد النهضة وأركان الإصلاح في الجزائر إبان الحقبة الإستعمارية التي امتدت لأكثر من **132** سنة. كان صاحب مواقف قوية ضد الشرك والبدع والخرافات، حتى كان الطرقيون والمبتدعة يطلقون على دعاة التوحيد لقب "عقبي"!!

كان "العقبي" من الأعضاء المؤسسين لجمعية العلماء، وكان له نشاط كبير في الدعوة حيث كان يتردد على الأماكن العامة للدعوة إلى الله، وقد هدى الله على يديه خلق كثير. عُرف بالجرأة على قول الحق ولا يخاف في ذلك لومة لائم، وبالإضافة إلى نشاطه في مجال الصحافة، كان قلمه سيالا بكثرة مقالاته في جريدة الشهاب والبصائر التابعتين لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

مولده ونشأته

هوالطيب بن محمد بن إبراهيم "العقبي"، ولد بولاية "بسكرة" في شهر شوال سنة **1307**هـ الموافق لـ **1890**م في الجزائر بضواحي بلدة "سيدي عقبة"، التي سميت بهذا الإسم نسبة إلى الفاتح عقبة بن نافع الفهري القرشي الذي وصل إلى المنطقة أثناء الفتوحات الإسلامية في القرن السابع الميلادي حيث بُنى على ضريحه مسجدا وحوله الأحياء العتيقة للمدينة، التي أقيمت على بضع كيلومترات من قرية "تهودة" وهواسم المعركة التي استشهد فيها الفاتح عقبة بن نافع رفقة أكثر من **300** من الصحابة والتابعين. وقد أنشئ بالمدينة معلم ديني وصرح علمي هوعبارة عن مركب إسلامي للتكوين العلمي الإسلامي لا يزال قطبا يتخرج منه سنويا مئات الأساتذة والدعاة والمؤطرين الدينين. ويكفي العلامة الطيب العقبي شرفا أنه ينتسب لهذه المدينة العريقة، فاقترن اسمه بها، فيقال له "العقبي" نسبة لسيدي عقبة.

رحلة الحجاز

هاجرت أسرته إلى الحجاز سنة **1313**هـ أثناء حملات الهجرة بسبب محاولة فرض الاستعمار التجنيد الإجباري على الجزائريين في صفوف الجيش الفرنسي، ثم في سكنت عائلته المدينة النبوية في أول سنة **1314**هـ /**1895**م، ولايزال بعض أقاربه في السعودية إلى يوما هذا ويحملون جنسيتها. كما يوجد في المدينة المنورة قبر أبويه وعمه وعم والده وأخته، وجل من هاجر من أفراد عائلته، كلهم دفنوا هناك ببقيع الغرقد رحمة الله عليهم، وقد توفي والده وهوفي الثالثة عشر، فتربى في حجر أمه، وقد سخر الله له شقيقه الأصغر حيث كان هومن يقوم بقضاء ما يلزم من الضروريات المنزلية فتفرغ للعلم.

حفظ الطيب العقبي القرآن الكريم وتعلم أصول الفقه والسيرة النبوية على يد أساتذة كان يحضر دروسهم بالحرم النبوي، مثل الشيخ محمد بن عبد الله زيدان الشنقيطي الذي أخذ عنه الأدب والسيرة، والشيخ حمدان الونيسي والذي كان من أبرز العلماء السلفيين في الجزائر وكان مربي الشيخ عبد الحميد ابن باديس رائد النهضة الإصلاحية في الجزائر.

لم يلتقى "العقبي" في المدينة المنورة بعلماء أجلاء في العالم الإسلامي فحسب، بل التقى أيضا بعلماء الجزائر،أمثال الشيخ عبد الحميد ابن باديس والشيخ البشير الإبراهيمي، وقد نبغ في العلم برغم عدم انتظام دراسته في معاهد علمية، وتميز في نظم الشعر والأدب، ثم عمل بالتدريس، وبدأ مسيرته الإصلاحية بالكتابة في الصحف الحجازية داعيا للإصلاح والعمل فلقيت مقالاته قبولاً عند المسلمين وفتحت له صداقة ومراسلة مع بعض المصلحين المعروفين كشكيب أرسلان ومحبّ الدين الخطيب، وأصبح من أنصار ودعاة فكرة الجامعة الإسلامية ضد أنصار الاستعمار والقوميات الضيقة كحزب الاتحاد والترقي، وبذلك ترسخ منهجه السلفي الإصلاحي وانتشر صيته ودوره بين المصلحين والنهضويين.

ولهذا قام ساسة ورجال حزب "تركيا الفتاة" بنفيه إلى شبه الجزيرة التركية لأكثر من

سنتين، عقب ثورة الشريف حسين بسبب مقالاته في الصحف ولعدم تعاونه معهم، وقد لحقت به عائلته بعد خراب المدينة، وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى عاد إلى مكة المكرمة، فأكرمه الشريف حسين وتولى رئاسة تحرير جريدة "القبلة" وإدارة "المطبعة الأميرية" في مكة خلفا للعلامة محب الدين الخطيب.

رجوعه إلى الجزائر

رجع الشيخ العقبي إلى الجزائر في مارس **1920** بنية حماية أملاك عائلته من الإعتداء عليها، ثم الرجوع إلى الحجاز. لكن لم يكتب له العودة للحجاز وبقي في الجزائر، وقد جوبه بمعاملة قاسية من الاستعمار الفرنسي إذ عاملوه معاملة مهينة واستقبلوه باعتقال لنحوشهرين واستجواب وتفتيش ووضع تحت المراقبة!

ثم اصطدم العقبي بالجهلة والمزيفين من أهل العلم فأثرت على نفسيته فانزوى وانقطع عن العلم والكتابة في الصحف، وحين كتب بعد عدة سنوات بعض الآراء والأفكار في مسائل تخص العلم والدين ثارت ثائرة الجامدين ضده.

وقد عاد العقبي للجزائر بشخصية حجازية في ملبسه ومنطقه وفكره، وبقي يحنّ للحجاز والعودة إليهم، وقد وصف الشيخ ابن باديس حنين العقبي للحجاز أثناء سفرهم إلى باريس ضمن وفد المؤتمر الإسلامي، في سنة **1936**م وهم على متن السفينة التي تقلّهم قائلا: "فلما ترنحت السفينة على الأمواج وهبّ النسيم العليل هب العقبي الشاعر من رقدته وأخذ يشنف أسماعنا بأشعاره ويطربنا بنغمته الحجازية مرة والنجدية أخرى ويرتجل البيتين والثلاثة، وهاج بالرجل الشوق إلى الحجاز فلوملك قيادة الباخرة لما سار بها إلا إلى جدة، وإن رجلا يحمل ذلك الشوق كله للحجاز ثم يكبته ويصبر على بلاء الجزائر وويلاتها ومظالمها لرجل ضحّى في سبيل الجزائر أي تضحية"، ومن شعر العقبي في الحجاز قوله:

سلام على أرض الحجاز سلام ولست على حبي الحجاز أُلام

سلام على آل وصحب عهدتهم وإن بعدت منهم عليك خيام

النشاط الدعوي

عندما رجع العقبي إلى الجزائر أقام بمنطقة بسكرة، وكانت دروسه العلمية والوعظية لطلبة العلم والعامة في مسجد "بكّار" بقلب المدينة والذي لم يكن يخضع للطريقة التيجانية، فكان يدرّس كتاب الجوهر المكنون وكتاب القطر في النحو، ودرس في التفسير للعامة من تفسير المنار، وكان يعقد مجالس أدبية يحضرها أدباء ومثقفون أمثال الأمين العمودي وشاعر الجزائر الأول محمد العيد آل خليفة.

وبسبب هذا النشاط كانت السلطات الفرنسية تقوم باعتقاله من حين لآخر، فعاد أقوى مما كان في الدعوة للتوحيد والأخلاق الفاضلة وحرب الطرقية والخرافات، في المساجد والصحف التي يشرف عليها العلامة ابن باديس مثل "المنتقد" و"الشهاب" وكانت مقالاته من المقالات الهامة فيهما، فتجمع حوله مجموعة من الأدباء والمصلحين، وتحالف ضده الطرقيون الخرافيون والجامدون، الذين طلبوا من ابن باديس أن يوقف هذه المقالات، فاختلف الرجلان في طرائقهم في الدعوة والإصلاح.

ومن ثم سعى العقبي لتأسيس مجلة له في بسكرة اسماها "صدى الصحراء" في ديسمبر **1925**م، ثم انفرد بتأسيس جريدة "الإصلاح" في سبتمبر **1927**م، وقد صدر منها **14** عددا فقط قبل توقفها سلطة الاستعمار الفرنسي في **1928**م.

ويظهراهتمام العقبي بالصحف كان بسبب رؤية عميقة لدور الإعلام في نهضة الأمة، يقول العقبي في جريدة "المنتقد" "إن الجرائد في الأعصر الأخيرة هي مبدأ نهضة الشعوب، والعامل القوي في رقيّها، والحبل المتين في اتصال أفرادها، والسبب الأول في تقدمها، والصحافة هي المدرسة السيارة والواعظ البليغ، وهي الخطيب المصقع والنذير العريان لذوي الكسل والبطالة، وهي سلاح الضعيف ضد القوي، ونصرة من لا ناصر له، وهي تأخذ الحق وتعطيه، وترمي الغرض فلا تخطيه وهي المحامي القدير عن كل قضية حق وعدل".

تأسيس جمعية العلماء المسلمين

كان العقبي بما له من دور بارز وهام في حمل راية الإصلاح والدعوة والتوحيد في الجزائر من المؤسسين البارزين لجمعية العلماء، ولذلك انتخب ضمن مجلس إدارتها. كما عُين نائب الكاتب العام وممثلها في عمالة الجزائر، وتولى رئاسة تحرير صحف الجمعية (السنة والشريعة والصراط)، ثم جريدة "البصائر" من أول عدد لها صدر في **27** سبتمبر/ أيلول **1935**م إلى العدد **83** الصادر في **30** سبتمبر **1937**م حيث انتقلت إدارتها إلى قسنطينة، وكان العقبي في مقارعة شجاعة مع مختلف صحف الطرقيين (الإخلاص، المعيار، البلاغ الجزائري) التي حظيت بدعم سلطة الاحتلال بعكس صحافة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

ومن نشاطاته في جمعية العلماء: إشرافه على مدرسة الشبيبة الإسلامية ودعا إلى إنشاء منظمة شباب الموحدين. وكانت له أنشطة أخرى خارج نطاق جمعية العلماء، فقد كان رئيسا للجمعية الخيرية الإسلامية، ومحاضرا دائما في نادي الترقي منذ مجيئه للعاصمة الجزائر سنة **1931**م، بعد تأسيس جمعية العلماء وحتى أقعده المرض سنة **1958**.

كان للشيخ العقبي نشاطا كبيرا، ولأنه كان دائم وبالغ التأثير في الناس خشي منه الفرنسيون على سلطانهم، بحيث يحرض العقبي الجزائريين على الثورة ومجابهة الظلم ورفض العادات التي لا تمثل المسلمين ولا تمت للإسلام بصلة، فكان أكثر الشخصيات التي نالت إهتمام الناس، وجلبت إليها الجدل من شخصيات جمعية العلماء، كما جلبت إليها العداء من طرف الإستعمار الفرنسي لدرجة أن الصحافة الفرنسية لقبته بـ "النبي الجديد".

ومن آثار تأثير العقبي في حياة الجزائريين هجر الناس لشرب الخمر والميسر ومواطنها، فرجع أكثرهم إلى بيوت الله بعد أن خلت منهم، وقد كان الفرنسيون هم من يسهل وجود الخمر بين الجزائريين، كحال المستعمر في كل مكان وعلى غرار إغراق الصين بالأفيون من قبل البريطانيين.

يقول الشيخ أحمد حماني، وهوأحد أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: "فأقبل الناس عليه وأثّر في الوسط تأثيرا كبيرا، وقل الفساد والسكر والاعتداء، وكان مستشريا بالعاصمة، وانخفضت نسبة الجرائم، وتفتحت العقول والأذهان، وزالت منها كثير من الخرافات والبدع والأوهام، وصار للحركة جمهور غفير، خصوصا من العمال والشباب الذي سماه الشيخ العقبي (الجيش الأزرق) لما كان يمتاز به العمال من لباس البذل الزرقاء".

وبسبب تحالف الطرقيين والسلطات الفرنسية ضده، (وقد حاولوا استمالته فعرضوا عليه منصب الإفتاء فرفض)، أصدار الوالي الفرنسي "ميشال" قراراً بمنعه من التدريس سنة **1933**م بحجة أنه ينشر المذهب الوهابي!، لكن احتجاجات السكان أجبرت السلطات على إلغاء القرار. وعندما لم تنجح هذه المحاولات دُبرت له مؤامرة اتهم من خلالها بقتل المفتي محمود بن دالي الذي كان عميلا رخيصا لفرنسا، مخالفا لجمعية العلماء ومعارضا للمؤتمر الإسلامي. فاعتقل العقبي، وتعمد الفرنسيون إهانته عند اعتقاله، اذ أخرجته حاسر الرأس وهذه كبيرة من الكبائر عند الجزائريين آنذاك.

يقول نجله إن "الشرطة الفرنسية تعمدت أن تدوس بأقدامها برنوس الشيخ (لباس تقليدي جزائري) أثناء خروجه من النّادي، كما خاطبته بأسلوب جاف وشتمته أمام الملأ"، وأغلق نادي الترقي، وضيق على أعضاء الجمعية في المدينة. وقد ثارت الجماهير احتجاجا على اعتقاله وتدخل ابن باديس والإبراهيمي لتهدئتهم، حتى لا تتخذ السلطات الاستعمارية ذلك حجة لإغلاق جمعية العلماء بسبب الشغب والفوضى.

وبين مد وجزر في حالته، قضى العقبي في سجن "بربروس" عدة سنوات قبل أن تتم تبرئته ليعود إلى محاضراته يحاضر في "نادى الترقي" وسط قلق من الحكم عليه مجددا ظلما بالإعدام أوالسجن المؤبد، لكن كان يقول دائما "لقد ابتلانا اللهُ تعالى بهذا ليمتحنَ إيماننَا وصدقنَا، وهذه سُنّةُ اللهِ فيمن سبقنا من الأنبياءِ والعظماء"!!

وكتب البشير الإبراهيمي عن وضعه آنذاك فقال "ومن آثار هذه الحادثة على الأستاذ

العقبي أنها طارت باسمه كل مطار ووسعت له دائرة الشهرة حتى فيما وراء البحار، وكان يوم اعتقاله يوما اجتمعت فيه القلوب على الألم والامتعاض، وكان يوم خروجه يوما اجتمعت فيه النفوس على الابتهاج والسرور". كما وقف معه الكثيرون في محنته، حتى الشيخ ابن باديس الذي لم يوقف دروسه طيلة عمره، حتى عندما توفي بكره الوحيد وعمره **17** سنة، أوقف دروسه في مدينة "قسنطينة" لحضور محاكمة العقبي في العاصمة.

استقالته من جمعية العلماء

وبسبب عدة خلافات، استقال العقبي من إدارة جمعية العلماء، لكنه لم يتوقف عن النشاط في الدعوة الإسلامية والعمل الإصلاحي، فأعاد إصدار جريدته "الإصلاح" في ديسمبر/ كانون الأول **1939** والتي استمرت إلى مارس/ آذار **1948**.

وأسس في نادي الترقي سنة **1947**م "لجنة الدفاع عن فلسطين"، والتي تطورت لتصبح "الهيئة العليا لإغاثة فلسطين" كهيئة جزائرية مشتركة بين عدة تمكنت من جمع ثمانية ملايين فرنك كتبرعات من الشعب الجزائري الذي هبّ لدعم ومساندة فلسطين ماديا ومعنويا رغم ظروفه القاسية.

وكوّن العقبي منظمة "شباب الموحدين" (**1950**- **1952**م) لنشر الدعوة السلفية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأصدرت عدة جرائد مثل: الداعي والقبس والمنار واللواء، وكان مديرها ورئيس تحريرها الشيخ أبوبكر الجزائري. وبقيت مقالاته تطالب بحرية التعليم العربي ومقاومة فرنسا المجتمع الجزائري. ولم يتوقف عن الدعوة إلا بسبب وطأة مرض السكري عليه، والذي أصيب به سنة **1953** والذي أقعده سنة **1958** عن الدعوة وألزمه الفراش.

من أقوال العلماء عنه

قال عنه ابن باديس: "من ذا الذي لا يتمثل في ذهنه العلم الصّحيح والعقل الطاهر،

والصّراحة في الحقّ والصّرامة في الدّين، والتّحقّق بالسّنّة، والشّدّة على البدعة، والطّيبة في العِشرة، والصِّدق في الصُّحبة إذا ذُكِرَ الأستاذُ العُقبيُّ".

وقال عنه الشيخ الإبراهيمي "هومن أكبر الممثلين لهديها – أي الجمعية – وسيرتها والقائمين بدعوتها، بل هوأبعد رجالها صيتا في عالم الإصلاح الديني وأعلاهم صوتا في الدعوة إليه، وإنما خلق قوّالا للحق أمّارا بالمعروف نهّاء عن المنكر وقافا عند حدود دينه، وإن شدته في الحق لا تعدوبيان الحق وعدم المداراة فيه وعدم المبالاة بمن يقف في سبيله".

وقال الشيخ مبارك الميلي "ولكن أتى الوادي فطم على القرى، إذ حمل العدد الثامن في نحره المشرق قصيدة «إلى الدين الخالص» للأخ في الله داعية الإصلاح وخطيب المصلحين الشيخ الطيب العقبي أمد الله في أنفاسه، فكانت تلك القصيدة أول المعول مؤثرة في هيكل المقدسات الطرقية، ولا يعلم مبلغ ما تحمله هذه القصيدة من الجراءة ومبلغ ما حدث عنها من انفعال الطرقية، إلا من عرف العصر الذي نشرت فيه وحالته في الجمود والتقديس لكل خرافة في الوجود".

وقال أحمد توفيق المدني "كان خطيبا مصقعا من خطباء الجماهير، عالي الصوت سريع الكلام، حاد العبارة يطلق القول على عواهنه كجواد جامح دون ترتيب أومقدمة أوتبويب أوخاتمة، وموضوعه المفضل هوالدين الصافي النقي، ومحاربة الطرقية ونسف خرافاتها والدعوة السافرة لمحاربتها ومحْقها".

وقال فيه شاعر الثورة الجزائرية مفدي زكريا "الأستاذ الأكبر العلامة، أبوالجزائر الجديدة، الشيخ سيدي الطيب العقبي". وقال فيه الشيخ أبوبكر جابر الجزائري – مبالغًا– "دروس الشيخ الطيِّب العقبي ما عرفَتِ الدنيا نظيرَها، ولا اكتحلَت عينٌ في الوجود بعالم كالعقبي".

وقال الشيخ أبويعلى الزواوي "العلامة السلفي الصالح داعية الإصلاح الديني". وقال

عنه العلامة شكيب أرسلان" .. فالميلي وابن باديس والعقبي والزاهري حملة عرش الأدب الجزائري الأربعة" . وقال الشيخ محمد تقي الدين الهلالي"الأستاذ السلفي الداعية النبيل الشيخ الطيب العقبي" .

تراثه ووفاته

ترك الشيخ العقبي آثارا كثيرة مكتوبة لوتتبعت وجمعت لجاءت في مجلدات، لأنها في غالبها محاضرات ومقالات في الصحف والمجلات، ومن أبرز تلاميذه: فرحات بن الدراجي (**1909 - 1951**)، وعمر بن البسكري (**1889 - 1968**)، ومحمد العيد آل خليفة (**1904 - 1979**)، أبوبكر الجزائري.

توفي الشيخ الطيب العقبي رحمه الله تعالى في **21** مايو/ أيار **1961**م، قبل عام واحد من استقلال الجزائر، ودفن في مقبرة شعبية، خالية بتأثير العقبي، من الشركيات والبدع التي يأتيها الجهلة على القبور، وكانت جنازته جنازة مهيبة حضرها قرابة خمسة آلاف شخص.

عبد القادر الأرناؤوط
محقق تصنيفات الحديث الشريف

الشيخ عبد القادر الأرناؤوط أحد العلماء الذين اختاروا طريق مرافقة الرسول صلى الله عليه وسلم، وذلك بخدمة الحديث النبوي الشريف. وقد منّ الله تبارك وتعالى على الشيخ ففتح له في هذا العلم، وجعل له فيه قدما راسخة، ونفع الله به نفعا عمّ أرجاء العالم الإسلامي، وكانت له مع السنة رحلة ممتعة مع مشقتها.

"قدري في طريق العلم"

اشتهر شيخنا في عالمنا الإسلامي بالشيخ "عبد القادر الأرناؤوط"، واسمه الحقيقي كما تقول البطاقة الشخصية "قدري"، وشهرته "الأرناؤوط" جاءت من اللقب الذي أطلقه الأتراك على كل ألباني.

كان ظلم الصرب واضطهادهم للألبان في كوسوفا قد بلغ أوجه عندما قرر "صوقل" (والد الشيخ) الهجرة من قريته فريلا (**VRELA**) إلى الشام مع زوجته وأولاده، وكان "قدري" الطفل الصغير آنذاك (**1352**هـ-**1932**م) لم يتجاوز بعد سنواته الثلاث.

وعندما استقر في دمشق لم يلبث أن توفيت زوجته (والدة الشيخ) وقدري ما يزال صغيرا، وقرر والده الذي فر بدينه أن يعلم ولده الدين منذ نعومة أظفاره، فأدخله مدرسة "الإسعاف الخيري" حتى أنهى الصف الخامس الابتدائي سنة (**1363**هـ-**1942**م)، وكان الصف الخامس آنئذٍ هونهاية المرحلة الابتدائية. في وقت كانت الحاجة إلى المال تضغط على أسرته؛ مما اضطره إلى ترك العلم من أجل العمل لسد حاجته المالية، فعمل في تصليح الساعات في محلة "المسكية" بدمشق، لكنه ما زال شغوفا بالعلم.

وهكذا كان يعمل في النهار ويدرس القرآن والفقه في المساء. ولحسن حظه أن صاحب العمل (الشيخ سعيد الأحمر التلي) كان رجلا أزهريا محيطا بالعلم الشرعي فكان أيضا

يعلمه الدين واللغة، ولما رأى نبوغه وشدة حفظه للقرآن والحديث النبوي الشريف قرر أن يرسله إلى حلقات العلم، وقال له: "يا بني أنت لا تصلح إلا للعلم". فسلمه إلى الشيخ عبد الرزاق الحلبي -الذي ما زال إلى اليوم مديرا للجامع الأموي الكبير في دمشق- لينضم إلى حلقة من حلقاته العلمية.

يحكي الشيخ عن نفسه: "كنت في فترة الاستراحة بين الحصص المدرسية أحفظ خمسة أحاديث، كنت متمتعا بذاكرة طيبة، وقدرة على الحفظ كبيرة بحمد الله تعالى وعونه".

وبالرغم من أن الشيخ لم يتابع تعليمه المدرسي بعد ذلك، فإنه تلقى علومه على يد علماء عصره في الشام؛ فقد درس على بعض الشيوخ الألبان الأجلاء، منهم الشيخ "سليمان غاوجي الألباني" رحمه الله حيث درسه الفقه وعلم الصرف، وقرأ القرآن وجوده على الشيخ "صبحي العطار" رحمه الله، ثم على الشيخ "محمود فايز الديرعطاني" رحمه الله، وقرأ على الشيخ "محمد صالح الفرفور" رحمه الله اللغة العربية والفقه الحنفي والتفسير والمعاني والبيان والبديع، ولازمه فترة من الزمن تقارب عشر سنوات مع طلابه، وغيرهم من شيوخ الشام. والشيخ لا يعدد أحدا من تلامذته، ويظهر تواضع شيخنا أنه يعتبر الذين درسهم طوال السنين السالفة هم إخوة له يتدارس معهم العلوم الشرعية.

رباه والده على ألا ينسى بلده، وهكذا علمه الألبانية منذ صغره، وهي إلى اليوم لغة منزله؛ فهويتحدث مع أهله وأولاده بالألبانية كما لاحظت، وقد يسرت له هذه اللغة التواصل مع أقربائه وأبناء بلاده؛ مما جعله يرتحل إليها في كل عام للدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، فترك آثارا لا تمحى في الإحياء الإسلامي هناك.

زار الشيخ بلدانا عدة من العالم الإسلامي داعيا وعالما يدرس في المساجد ويشارك في المؤتمرات والندوات العلمية.

خلافه مع الشيوخ

بات معروفا أن ثمة خلافا حادا قام بينه وبين عدد من شيوخ الشام، وبالرغم من أن ظاهر خلافه معهم يعود إلى عدم التزامه مذهبا معينا في الفتوى؛ فهويرى أن "العالم الحقيقي لا يتقيد بقول عالم واحد مهما كان شأنه"؛ بل يتبع الدليل "ولا يحق أن يكون مقلدا"، وإن كان يرى أن العامي لا مذهب له، ومذهبه مذهب مفتيه؛ فالتزامه بالمذهب أمر ضروري طبيعي، وبالرغم من أن الشيخ لم يدَع الاجتهاد؛ فإنه لا يرضى بالتقليد دون معرفة الدليل. والحقيقة أن اللامذهبية وحدها لم تكن المشكلة الأساسية، وإنما نزوع الشيخ "السلفي" (وانتقاده للغلوفي التصوف) الذي يتضارب مع روح التصوف السائدة في بلاد الشام رغم أنه لا يرى مانعا من التصوف عندما يكون "بمعنى الرقائق التي تلين القلوب وتهذب النفوس". وقد حققت له سلفيته المعتدلة وشخصيته المرحة وجرأته ووضوحه شعبية كبيرة، فأثارت حسدهم.

جهوده في التعليم

فيما عدا دروسه الكثيرة في المساجد عمل الشيخ مدرسا لعلوم القرآن والحديث النبوي الشريف بين عامي **1952**- **1959**م في مدرسة "الإسعاف الخيري" التي تخرج فيها من قبل، وأدرك فيها شيخه صبحي العطار رحمه الله، وفي عام (**1960**م -**1381**هـ) انتقل إلى المعهد العربي الإسلامي بدمشق؛ فدرس القرآن والفقه، وقد كان إلى فترة يدرس في معهد "الفرقان" بالمزة، ومعهد المحدث الأكبر الشيخ بدر الدين الحسيني، لكنه الآن وقد ضيق عليه فجرد من كل هذه الوظائف لم يبق له سوى درس أسبوعي واحد في أحد جوامع دمشق.

كان خطيبا لمدة **15** عاما في جامع "الديوانية البرانية" بدمشق القديمة منذ عام **1948** هـ (**1369**هـ) ثم انتقل إلى جامع "عمر بن الخطاب" في "القدم" الذي كان الشيخ نفسه وراء بنائه بمساعدة أهل الخير، وبقي فيه خطيبا لمدة **10** سنوات، ثم أصبح خطيبا لعشر سنوات أخرى في جامع "الإصلاح" وفي منطقة الدحاديل، ثم أصبح خطيبا لجامع

"المحمدي" بالمزة لثماني سنوات، أعفي بعدها من الخطابة بشكل كامل بتداعيات خلافه مع الشيوخ، كما مُنع من الحديث في المناسبات الرسمية، ورغم ذلك فهولا يفتأ يخالط الناس ويشاركهم أفراحهم وأتراحهم فبقي قريبا من قلوبهم.

جهوده في الحديث الشريف

ليس للشيخ اجتهاد خاص في علم مصطلح الحديث، وإنما يفضل العمل بآراء علماء الحديث وشرطه، وهولذلك يأخذ برأي الإمام النووي رحمه الله في تصحيح الحديث وتضعيفه الذي يقول فيه: "يجوز لمن ملك خبرة بهذا الفن وقويت معرفته أن يصحح ويحسن حسب قواعد مصطلح الحديث عند العلماء"، ففي الحديث المرسل -مثلا- يصف منهجه فيقول: "أعمل برأي الإمام الشافعي رحمه الله الذي يقول بأن المرسل ضعيفه لا يُعمل به إلا إذا وجد للحديث طرق وشواهد، فعند ذلك يعمل به".

وفي حكم الأخذ عن أصحاب البدع والأهواء يقول: "وقد احتج بعض الأئمة برواية المبتدعة الدعاة وغير الدعاة؛ فقد احتج البخاري بعمران بن حطان وهومن دعاة الشراة، وبعبد الحميد بن عبد الرحمن الحماني وكان داعية إلى الإرجاء.. والحق في هذه المسألة -كما قاله العلامة محمد بخيت المطيعي في حاشيته على: نهاية السول- قبول رواية كل من كان من أهل القبلة يصلي بصلاتنا ويؤمن بكل ما جاء به رسولنا، فإن من كان كذلك لا يمكن أن يبتدع بدعة، إلا وهومتأول فيها، مستند في القول بها إلى كتاب الله أوسنة رسوله صلى الله عليه وسلم بتأول رآه باجتهاده، وكل مجتهد مأجور وإن أخطأ، أما إن كان ينكر أمرا متواترا من الشرع ثابتا بالكتاب والسنة وإجماع الأمة معلوما من الدين بالضرورة أواعتقد عكسه، كان كافرا مجاهرا فلا يقبل مطلقا..."".

ويؤكد الشيخ على أن "سلامة المعتقد" شرط ضروري عند المحدث لأنه يؤثر في منهجه، وعلى ما سبق تأسس منهجه في تحقيق الحديث؛ فهويحرص كل الحرص على بيان درجة كل حديث مما لم يرد في أحد "الصحيحين" (البخاري ومسلم)، من حيث الصحة والضعف، حسب الأصول والقواعد المتبعة في علم المصطلح، فيذكر ما يقال في رجال

الحديث ممن تُكلم فيهم، مسترشدا بأقاويل جهابذة الحديث ونقاده.

وإذا كان الخبر ضعيفا فإنه يبحث في طرقه المختلفة وشواهده، فإذا تقوى بتعدد الطرق، أوبالشواهد حكم عليه بالصحة أوالحسن تبعا لمنزلة تلك الطرق والشواهد، وما لم يجد له ما يقويه يحكم عليه بالضعف معززا ما ذهب إليه الحفاظ من أئمة الحديث الذين عُنوا بذلك.

وكان منهجه في تحقيقه لكتاب "جامع الأصول" الذي اشتهر به أنه يقتصر على تصحيح النص وضبطه ومقابلته مع الأصول الخطية التي حصل عليها، والأصول الستة التي جمع المؤلف كتابه منها؛ حيث بدأ بترقيمه وتفصيله، ثم ألمّ بمذاهب الأئمة المجتهدين، وذكر جملا من الاستنباطات الجديدة، وتتبع الأحاديث التي لم يلتزم أصحابها إخراج الصحيح (كأبي داود والترمذي والنسائي) وتكلم عن كل حديث من جهة الصحة والضعف، لأن المؤلف (ابن الأثير) لم يتطرق إلى ذلك، واستشهد بأحاديث من خارج الكتاب (المسانيد والمصنفات الأخرى)، وقد أعاد الشيخ مؤخرا النظر فيه من جديد، فزاد عليه رواية ابن ماجه وغير ذلك وهوبصدد إصداره.

يعرض الشيخ عموما عن التأليف لأنه يجد نفسه أمام مهمة يؤمن أنها أهم منه، وهكذا يبرر ذلك بقوله: "المؤلفات كثيرة، والتحقيق أولى، وذلك حتى أقدم الكتاب إلى طالب العلم محققا ومصححا حتى يستفيد منه."

لأجل ذلك نجد ندرة في مؤلفاته التي لم تتجاوز أصلا بعض الرسائل الصغيرة، منها رسالة بعنوان "الوجيز في منهج السلف الصالح" وما دعاه إلى كتابتها هوعدم فهم كثير من الناس العقيدة السليمة فهما صحيحا، وكثرة من يتكلم في هذا الموضوع وهولا يحسنه، وله أيضا رسالة بعنوان "وصايا نبوية" شرح فيها خمسة أحاديث نبوية، مطبقا بذلك قول بشر بن الحارث الحافي رحمه الله حيث قال: "يا أصحاب الحديث، أدوا زكاة الحديث من كل مائتي حديث خمسة أحاديث"، وقد اختارها في العقيدة والأخلاق.

تحقيقاته لمصنفات الحديث

كان باكورة أعماله تحقيقه لكتاب "غاية المنتهى" في الفقه الحنبلي، وكان الشيخ جميل الشطي رحمه الله قد بدأ به ولم يتمه، فطلب من الشيخ إتمامه. وفي بداية الستينيات انتظم الشيخ للعمل مدرسا لقسم التحقيق والتصحيح في المكتب الإسلامي بدمشق، وذلك بصحبة الشيخ شعيب الأرناؤوط -حفظه الله- واستمر في عمله هذا حتى عام (**1968**-**1389**هـ) تقريبا.

ومنذ تلك الفترة قام الشيخ بالاشتراك مع الشيخ المحقق شعيب الأرناؤوط بتحقيق وتصحيح العديد من الكتب الإسلامية التي صدرت عن المكتب الإسلامي، وأهمها:

- زاد المسير في علم التفسير- لابن الجوزي (**9** مجلدات).
- المبدع في شرح المقنع - لابن مفلح (**8** مجلدات).
- روضة الطالبين وعمدة المفتين - للنووي (**12** مجلدا).
- زاد المعاد في هدي خير العباد - لابن القيم (**5** مجلدات).
- جلاء الأفهام في الصلاة على خير الأنام - لابن القيم (مجلد).

يقول الشيخ عن نفسه: "إني بعونه تعالى قد حققت أكثر من خمسين كتابا كبيرا وصغيرا في الفقه والحديث والتفسير والأدب وغيرها، وهي موجودة في العالم الإسلامي..."

ومن أهم الكتب التي حققها الشيخ بمفرده: كتاب "جامع الأصول" لابن الأثير الذي أشرنا إليه سابقا، وقد استغرق عمله في هذا التحقيق مدة خمس سنوات كاملة، كما أنه كان سببا لشهرته، ومن بين الكتب الأخرى نجد:

- مختصر شعب الإيمان - للبيهقي.
- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان - لابن تيمية.
- كتاب التوابين - لابن قدامة المقدسي.

- كتاب الأذكار- للنووي.
- كتاب الشفا في تعريف حقوق المصطفى - للقاضي عياض.
- كفاية الأخيار - للحصني.
- شمائل الرسول - لابن كثير.
- الإذاعة لما كان ويكون بين يدي الساعة - لمحمد صديق حسن خان... وغيرها.

وتوفي فضيلة الشيخ عبد القادر الأرناؤوط فجر الجمعة **14** شوال **1425** هـ في دمشق بنوبة قلبية مفاجئة عن نحوست وسبعين عاما قضاها في التعلم والتعليم والتحقيق والدعوة.

محمود غومي
الترجمان الأفريقي للقرآن الكريم

ليست مبالغة أن يوصف بـ "الترجمان الأفريقي للقرآن الكريم"، فقد كان الشيخ أبوبكر محمود غومي الجسر الأفريقي الهوساوي إلى عالم كتاب الله العظيم، إذ هوأول عالم هوساوي نيجيري أفريقي أقام جسر التواصل والبيان بين كتاب الله واللسان الهوساوي، من خلال جهوده وإنجازه لترجمة معانيه إلى لغة الهوسا التي يتكلم بها ما يزيد عن مائة مليون شخص في معظم دول غرب أفريقيا.

وقد قدم الشيخ غومي بتلك التجربة عطاء سخيا وواجبا دينيا لبني جلدته؛ ليقربهم من روح كتاب الله وجوهر معانيه، في وقت كانوا في مسيس الحاجة إلى الارتواء من عطش طال أمده، حيث كان المجتمع والشعب الهوساويان يتوقون إلى مثل هذه الترجمة، بعد أن نجح المستعمر الأوربي المسيحي في حربه ضد الحرف العربي الذي كانت تكتب به لغة الهوسا، لوقف انتشار اللغة العربية بين هذه الشعوب التي كانت في طريقها إلى التعريب، في محاولة لقطع العلاقة اللغوية بين هذه الشعوب وكل ما يمت إلى العربية وبالتالي إلى الإسلام بصلة.

علاوة على ذلك يعد الشيخ غومي بحق رائد حركة النهضة والتطوير التي شهدها مجال القضاء الشرعي في نيجيريا، وقائد ثورة تمرد على المفاهيم السلبية والمغالطات الصوفية.

المولد والنشأة

ولد الشيخ أبوبكر بن محمود غومي عام **1314**هـ الموافق السابع من شهر نوفمبر من العام **1924**م، في قرية تسمى "غومي " **GUMI**، أحد المراكز التابعة لولاية صوكوتوسابقا، والتابعة لولاية زامفرا حاليا.

نشأ الشيخ غومي في حجر والده الذي كان قاضيا وتلقى منه القرآن ومبادئ الدين، وقد تعهده بالعناية وحسن التربية فداوم على اصطحابه إلى مجالس العلم ومنازل العلماء، وكان يتعمد سؤاله في بعض المسائل والقضايا ليتيح له فرصة بناء الثقة والاعتزاز بالنفس، وكان أن ألحقه أبوه بالتعليم الابتدائي بقرية "دوغن داجي" على نهج التعليم الغربي النصراني، ورغم المعارضة الشديدة لهذا التعليم في المجتمع الهوساوي فإن أباه أصر على ذلك رغبة منه في أن يجمع بين التعليم العربي والإنجليزي الجديد، ثم المدرسة الوسطى في صوكوتووحصل منها على شهادة المعلمين "المرتبة الرابعة".

ونظرا لذكائه الشديد بعد تخرجه التحق بـ "المدرسة الوطنية للطلبة الموهوبين لأبناء شمال نيجيريا"، والتحق بعدها بمدرسة العلوم العربية (كلية القضاء) بكانو، ومنها تعلم العربية والدراسات الإسلامية لمدة خمس سنوات، تخرج فيها عام **1947**م، ثم حصل على منحة دراسية في معهد التربية في بخت الرضا بالسودان، ونال شهادة الدبلوم العالي في القضاء الشرعي عام **1955**م.

كما تتلمذ الشيخ غومي على أيدي علماء محليين نيجيريين، منهم الشيخ جنيد بن محمد البخاري، وزير صوكوتوالسابق، والشيخ ناصر الدين كبرا زعيم الطريقة القادرية في نيجيريا، والشيخ "معلم شيهويابو"، كما أخذ عن عالم لبناني يدعى "سعيد ياسين" رواية حفص عن عاصم في علم القراءات.

المناصب والدرجات

بدأ الشيخ غومي نشاطاته العملية بالعمل في سلك التعليم ثم السلك القضائي، حيث عين قاضيا شرعيا بإحدى المحاكم الشرعية بقرية من القرى التابعة لمدينة صوكوتوعام **1947** م، ثم عاد إلى العمل في التدريس في مدرسة العلوم الشرعية بكانوعام **1951**م، وبعدها انتقل إلى مدينة مروللتدريس، ثم عاد مرة ثانية إلى مجال القضاء فعين نائبا لقاضي قضاة الشرعيين لإقليم شمال نيجيريا، ثم تولى منصب قاضي القضاة في شمال نيجيريا بلقب "كبير القضاة" مكث في هذا المنصب منذ مطلع الستينيات إلى منتصف السبعينيات.

كما تولى منصب المستشار الديني لرئيس وزراء إقليم شمال نيجيريا في عهد (الزعيم أحمد بللو)، وعين مديرا عاما لمجلس الشورى للشئون الدينية بإقليم شمال نيجيريا، وترأس الهيئة الوطنية لشئون الحج والحجاج لمنطقة شمال نيجيريا.

إضافة إلى ذلك كانت له عضوية العديد من الهيئات الإسلامية داخل نيجيريا وخارجها، فهوعضومؤسس لمجلس جماعة نصر الإسلام (أقدم وأكبر هيئة إسلامية في نيجيريا) وكان عضوا بالمجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، وعضوا بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في نيجيريا، والمجلس الأعلى للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

وحصل الشيخ غومي على العديد من الأوسمة والجوائز التقديرية، منها الدكتوراة الفخرية في كل من جامعة أحمد بللوبزاريا شمال نيجيريا وجامعة إبادن جنوب نيجيريا، ووسام الدرجة العثمانية من دولة رئيس الوزراء لشمال نيجيريا، وجائزة الدولة التقديرية من حكومة نيجيريا الفدرالية، ثم جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام عام **1987**م من المملكة العربية السعودية.

ترجمته لمعاني القرآن الكريم

يأتي في مقدمة أعمال الشيخ غومي وإنجازاته جهده المتميز في ترجمة معاني القرآن الكريم إلى لغة الهوسا، وهي أول ترجمة من نوعها تشهدها لغة الهوسا، وتتسم تلك الترجمة بالإتقان، وروعي فيها مميزات الأسلوب القرآني والقواعد العربية، فلم تكن مجرد ترجمة حرفية ولم يخرج بالتطويل في شرح المعاني عن المقصود، فقد ألهمه المولى ووفقه إلى القيام بهذا العمل الجليل بمفرده، ثم تعاون معه بالمراجعة نفر من علماء المسلمين المخلصين الناطقين بلغة الهوسا، وممن يجيدون ويتقنون اللغة العربية من علماء قبائل الهوسا في منطقة شمال نيجيريا، وساعد الشيخ غومي على مهمته كونه ثلاثي اللغة يجيد العربية والإنجليزية بجانب لغته الأم الهوسا.

وقد استغرق عمله في إعداد هذه الترجمة ومراجعتها وطبعها ما يزيد عن سبع سنوات، من شعبان **1391**هـ حتى المحرم **1399**هـ، وطبعت حتى الآن أربع طبعات، الأولى عام **1979**م، والثانية عام **1982**م، من طباعة الدار العربية للنشر ببيروت، وقد طبعتا على نفقة المغفور له الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود، وظهرت الطبعة الثالثة عام **1407**هـ والرابعة عام **1414**هـ، وقد طبعتا في مجمع الملك فهد بن عبد العزيز لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة بالمملكة العربية السعودية.

وقد تم تداول هذه الترجمة بين عموم الشعب الهوساوي في كل من نيجيريا والنيجر وغانا وتوغووساحل العاج وتشاد وغيرها من المجتمعات الأفريقية التي تنتشر وتسود فيها لغة الهوسا، كما وفرت تلك الترجمة مادة علمية لطلبة العلم والباحثين على السواء، فضلا عن كونها مرجعا للعامة لفهم المعاني القرآنية لنصوص الأحكام والتوجيهات.

جهوده الدعوية

شكلت جهود الشيخ غومي وأفكاره محطات بارزة في مسيرة الدعوة الإسلامية في نيجيريا عامة وفي شمال البلاد بخاصة، فقد ضرب بعصاه المعاكسة والمنتفضة في عمق القوالب الجامدة المتعددة، والتي تنتشر غالبا تحت عباءة التصوف وفرضت نفسها وأساليبها على الساحة الدعوية والاتجاه الفكري العام السائد على مدى عقود طويلة.

وتمثل حركة الشيخ غومي هذه امتدادا للدعوة التجديدية الإصلاحية التي تزعمها الشيخ عثمان بن فودي التي قامت في مطلع القرن التاسع عشر الميلادي لنشر الإسلام وحضارته في بلاد الهوسا وغرب أفريقيا؛ فقد تأثر بها بكل معطياتها البيئية والعلمية والثقافية والدينية؛ لذا كان منطلق دعوته مرتكزا على مجال الإصلاح الديني والتجديد الفكري من خلال تصحيح المفاهيم المغلوطة في الأفكار والممارسات، بالتركيز على مظاهر البدع في العبادات وتسليط الأضواء على المغالطات والتجاوزات وشطحات رجال الصوفية من الغلاة، وقد دخل معهم الشيخ غومي في سجال فكري حاسم. وقد اتخذت دعوة الشيخ الغومي شعار: "إزالة البدع وإقامة السنة"، وكانت مجالس دروسه للدعوة والتدريس تعج

بجماهير غفيرة من مختلف شرائح المجتمع، حيث جذبهم أسلوبه المتميز في الإلقاء ومنهجه في شرح المسائل وطرح الأفكار، والتي ظلت تذاع على الهواء عبر إذاعة نيجيريا بكادونا لمدة أكثر من ربع قرن؛ وهوما جعل لها أكبر الأثر في توسيع قاعدة الانتشار والاستفادة من علمه وثقافته الدعوية، وقد شملت جهوده الدعوية القادة السياسيين وغير المسلمين، فاهتدى عن طريقها عدد كبير من النصارى والوثنيين.

وقد توجت جهوده في هذا المجال بإنشاء منظمة دينية لتنظيم وتنسيق الجهود العلمية والدعوية في هذا الاتجاه تحت راية "جماعة إزالة البدعة وإقامة السنة" والتي انتظمت تحت لوائها مئات آلاف من الأتباع والمؤيدين، كما حمل غومي بشدة في دعوته على ظاهرة التقليد الأعمى المنتشرة في أوساط طلبة العلم في نيجيريا ودعا إلى نبذها، خاصة بعد أن استشرت الظاهرة لدرجة أن أصبح الركون إلى كل قول منسوب إلى كتب الفقه حتى لوكان عاريا عن الصحة والدليل المقنع.

مؤلفاته

دعم الشيخ مشروعه التجديدي الإصلاحي بتأليف بعض الكتب والرسائل الصغيرة؛ شملت مجالات العقيدة والفقه والتفسير والحديث والأدب، وفي التفسير كتابه المشهور"رد الأذهان إلى معاني القرآن" بالعربية، ومن أهم ما كتب في العقيدة والتوحيد كتاب "العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة" باللغة العربية، وكتاب "الإسلام ونواقضه" بالهوسا، وكتاب "مراتب الإسلام" بالهوسا، و"مناسك الحج والعمرة"، وكتاب "قضايا في الاقتصاد والتعامل مع البنوك الربوية"، وفي الحديث كتاب "الورد العظيم من الأحاديث والقرآن الكريم"، وفي الأدب كتاب "ديوان غومي" وكلها بالعربية.

وكما خصص جزءا من مؤلفاته للعكوف على ترجمة بعض الكتب العربية إلى لغة الهوسا، لا سيما بعض كتب الشيخ عثمان بن فودي، منها كتاب "نور الألباب في مسائل التوحيد والعقيدة"، وكتاب "أصول الدين في مسائل الاعتقاد"، وكتاب "هداية الطلاب في أهم مسائل الدين"، ومن بين الرسائل الصغيرة التي ترجمها إلى الهوسا كتاب" القاديانية".

وقد أثار كتاباه "رد الأذهان إلى معاني القرآن" في التفسير و"العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة" جدلا واسعا في أواسط العلماء وطلبة العلم، بسبب هجومه السافر على المفسرين في الأول تحت عنوان "تهافت بعض المفسرين" على خلفية إيرادهم واعتمادهم على الإسرائيليات من القصص والروايات، وبسبب رده في كتابه الثاني على الغلاة المبتدعة من المتصوفة؛ فقد انتقد بلهجة شديدة ما في كتاب الفيوضات الربانية من كتب القادرية، وما جاء في كتاب جواهر المعاني من كتب التيجانية، واعترض على الشطحات الصوفية وبعض الأوراد مثل صلاة الفاتح المشهورة بين العلماء في غرب أفريقيا، وشن هجوما عنيفا على مشايخ الطرق الصوفية خاصة من المعاصرين له.

توفي الشيخ أبوبكر غومي عام **1992**م إثر تعرضه لسكتة دماغية، بعد مشوار علمي وفكري حافل، رحمه الله رحمة واسعة.

محمود غالي
شيخ المترجمين لمعاني القرآن الكريم

من آفات هذا الزمان أن الذي يصنع وعي أهله دوائر ومؤسسات إعلام يقف على أبوابها حراس يحسبون كل ما يلمع ذهبا ولا يكلفون أنفسهم عناء البحث عن المكنون والمستور، حتى صار لكل علم وفن رجال أتقياء أخفياء؛ إذا غابوا لم يُفتقدوا، وإذا حضروا لم يُذكروا في ضوضاء الزحام وبريق الأضواء التي يصعب أن يجاريها عالم جليل وقور لم يلحق بعد بثقافة الفيديوكليب، ولم يحط خبرا بكواليس ومافيا عالم صناعة النجوم.

العالم الكبير الدكتور محمد محمود غالي من هؤلاء؛ فهوالرجل الذي لا يكاد يعرفه من خارج محيطه العلمي أحد على الرغم من أن أي حديث عن الترجمة بقضاياها وعلومها وعالمها ورجالها لا يصح أن يبدأ إلا به، لولا أن الزمان زمان الفيديوكليب.

فالرجل الذي كان يعمل أستاذا متفرغا للغة الإنجليزية بجامعة الأزهر الشريف – رغم أعوامه الثمانين– هوأحد أبرز من اشتغلوا في حقل ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الأجنبية في العالم، وصاحب الجهد العلمي الرائد وغير المسبوق في هذا المجال في مسيرة زادت على نصف القرن، توّجها بترجمة لمعاني القرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية، وصفت بأنها واحدة من أدق الترجمات إن لم تكن الأدق والأفضل في تاريخ الترجمة.

السيرة العلمية

الحديث عن الرجل الذي أسس أول كلية للغات والترجمة بجامعة الأزهر الشريف، وكان أول عميد لها يستدعي التعرف –ولوسريعا– على مسيرته العلمية (ولد في **9**-**1**-**1339**هـ = **23**-**9**-**1920**م)؛ فقد نشأ غالي في بيئة ريفية يغلب على أهلها التدين وتقدير العلم والاحتفاء بأهله رغم انتشار الأمية فيها، واتصل مبكرا بدعوة الإخوان المسلمين، وتوجه لدراسة اللغة والأدب الإنجليزي، وحصل فيهما على شهادة الليسانس من جامعة فؤاد الأول (القاهرة حاليا)، ثم سافر في بعثة تعليمية لاستكمال الدراسات العليا في مجال اللغة الإنجليزية وعلم الصوتيات بجامعة إكستر بالمملكة المتحدة، ثم انتقل إلى الولايات

المتحدة حيث حصل على درجتي الماجستير والدكتوارة في علوم اللغة (الألسنيات) من جامعة ميتشجان، ومنها إلى اليابان حيث درس علوم الصوتيات في الجامعات اليابانية.

وفي حياته العملية اشتغل بتدريس اللغة الإنجليزية وعلوم اللغة وعلم الصوتيات في جامعات القاهرة والأزهر في مصر، وجامعة الملك سعود والملك عبد العزيز في المملكة السعودية طوال نصف قرن من الزمان، تتلمذ خلالها على يديه أجيال من العاملين في مجال الدعوة الإسلامية باللغات الأجنبية وعلوم اللغة والصوتيات في العالم العربي.

وشارك في عضوية عدد من الهيئات والمؤسسات العلمية الإسلامية العاملة في حقل الترجمة ونقل القرآن والعلوم الإسلامية إلى اللغات الأجنبية؛ من أهمها مشروع جامعة الملك عبد العزيز، ورابطة العالم الإسلامي لإنجاز ترجمة القرآن.

وقد قدم للمكتبة الإسلامية **16** مؤلفا ومترجَما باللغتين الإنجليزية والعربية في اهتمامات قضايا متعددة، منها:

الصوتيات الإنجليزية، وتاريخ الإنجليزية، والرسول محمد ودولة المسلمين الأولى، ونظريات أجزاء الكلام، وعلماء اللغويات في القرن **19**، ولذة الإيمان، والحرية الأخلاقية في الإسلام، الإسلام والسلام العالمي، تربية الأطفال في الإسلام، وكلها باللغة الإنجليزية. وله باللغة العربية: المسلمون في عالم اليوم، وأئمة النحاة، وله باللغتين معا كتابه الأهم الفريد "المترادفات في القرآن الكريم"، إضافة إلى ترجمته لمعاني القرآن الكريم إلى الإنجليزية التي أنجزها بجهد فردي.

المشروع الفكري

وطوال حياته العلمية التي زادت على **60** عاما تركز النشاط العلمي للدكتور محمد محمود غالي فيما يمكن أن نعتبره مشروعا فكريا متكاملا، عنوانه الرئيسي "خدمة عملية نقل القرآن الكريم والعلوم المرتبطة به إلى اللغات الأجنبية وخاصة الإنجليزية"، وهدفه المحدد هو "تقديم أفضل ترجمة ممكنة للقرآن الكريم إلى الإنجليزية والاستفادة منها في

الترجمة إلى بقية اللغات". فقد اشتغل الرجل في مساحات عدة شكلت معالم مشروعه الفكري، وكان من أهمها:

- مراجعة معظم ترجمات معاني القرآن الكريم للإنجليزية (وصلت إلى **20** ترجمة) التي صدرت في العقود الأخيرة في معظم أنحاء العالم الإسلامي، وتقديم تقارير علمية تفصيلية عنها إلى الهيئات والمجامع العلمية الإسلامية المختصة، فراجع ترجمة محمد الخطيب الصادرة عن دار ماكملان بإنجلترا **1983**، وترجمة أحمد زيدان وزوجته الصادرة عن بيلدز جليفورد ببريطانيا **1999**، وترجمة عبد الله يوسف على طبعات دمشق وبيروت والمدينة، وترجمة المنتخب في تفسير القرآن لعبد الخالق همت أبوشبانة الصادرة عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر، وترجمة محمود صالح بجامعة الملك فهد/ طبعة المدينة المنورة، وترجمة المنتدى الإسلامي بلندن... وترجمات أخرى عديدة في شتى أنحاء العالم.

- عمل طوال **3** عقود عضوا ومستشارا علميا في لجان ترجمة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية في جامعات الملك سعود والملك عبد العزيز والأزهر الشريف ووزارة الأوقاف المصرية ووزارة الأوقاف السعودية والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر ورابطة العالم الإسلامي بالسعودية والمنتدى الإسلامي بلندن.

- تقديم دراسات رائدة لوضع الأسس والقواعد العلمية اللازمة لترجمة أونقل -حسب المصطلح الذي يفضله- معاني القرآن الكريم إلى اللغات الأجنبية وعلى رأسها الإنجليزية. وكان أهم ما كتبه في هذا الصدد كتابه الرائد وغير المسبوق "المترادفات في القرآن المجيد" باللغتين العربية والإنجليزية، وهودراسة دقيقة ونادرة لكل المترادفات التي يحدث فيها التباس عند ترجمتها من القرآن الكريم إلى اللغة الأجنبية، مثل: "غافر وغفور وغفار، طريق وسبيل وصراط، روح ونفس، قلب وفؤاد، علم ومعرفة، ريب وشك، عقل وفهم... إلخ"، وهوينطلق من فكرةٍ جوهرها التفريق بين المترادفات القرآنية؛ باعتبار أنه لا توجد كلمة تحل بديلا عن غيرها مهما بلغت أوجه التشابه بينهما في القرآن. وتمثل هذه الدراسة بين الفروق منهجا متكاملا لنقل معاني القرآن إلى الإنجليزية؛ بحيث يلتزم في هذا النقل (الترجمة) منتهى الدقة والتمييز بينها؛ بحيث تصل إلى المتلقي الإنجليزي

بنفس مقابلها الإنجليزي الذي يؤدي مقاصد اللفظ القرآني مع الابتعاد قدر الإمكان عن الخلط بين المترادفات في الترجمة الإنجليزية.

- إنجاز واحدة من أدق ترجمات القرآن الكريم عموما، وإلى الإنجليزية بصفة خاصة، وصفها الشيخ المرحوم محمد متولي الشعراوي بأنها من أفضل ترجمات القرآن الكريم إن لم تكن أفضلها، وقد طبعت منها عدة طبعات مزيدة ومنقحة، وقد عمل فيها منفردا لمدة **7** سنوات متواصلة معتمدا فيها على **20** ترجمة سابقة، وقد سبقها بالعمل لمدة **15** سنة متواصلة في مشروع جامعة الملك عبد العزيز بالسعودية لإنجاز ترجمة شاملة متكاملة لمعاني القرآن الكريم. كما سبقها أيضا بترجمة متميزة لأسماء الله الحسنى إلى الإنجليزية، ولم يسبقه إليها "أربري"، ورغم ذلك جاءت ترجمة غالي لتضيف عليها.

- وضع نظرية متكاملة لترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الأجنبية كلها، أهم أسسها:

أ. عدم ترجمة التفسير والتركيز على المعنى فقط؛ حيث يرى حرمة تقديم ترجمة تفسير القرآن كترجمة لمعاني القرآن؛ لأنها تمثل في رأيه ابتعادا عن المقصد القرآني بدرجتين: واحدة للتفسير وأخرى للترجمة، كما أنها تمثل ترجمة لأفكار المفسر ومذهبه في التفسير وتحتمل الخطأ.

ب. التفرقة الدقيقة بين المترادفات من خلال نظرية تقول: إن كل لفظ في القرآن مقصود لذاته، ولا يتماثل مع مترادفه مهما بلغت أوجه التشابه.

ج. الإقرار بوجود خطأ في كل ترجمة يستدعي إعادة تنقيحها وتصويبها من آن لآخر حسب تجدد معاني القرآن، وعدم وقوفها على زمن بعينه، وحسب التطور والتغير الدلالي في اللغات الأجنبية.

- تربية جيل من الباحثين المسلمين العاملين في حقل الدعوة الإسلامية باللغات الأجنبية بهدف تقديم الإسلام وعلومه لكل الشعوب غير العربية، وذلك من خلال تأسيس أول كلية للغات والترجمة بجامعة الأزهر، كان أولَ عميد لها، وقد ساعده في تأسيسها كل من الشيخ أحمد حسن الباقوري، ثم الدكتور عبد العزيز كامل وزيري الأوقاف الراحلين، وكانت في البداية معهدا قبل أن تتطور إلى كلية، كما كان له فضل تأسيس معهد الصوتيات بجامعة الأزهر.

عبد الله كُنون
علامة المغرب

تعتبر مدينة فاس العاصمة العلمية للمغرب، وقد شكلت هذه المدينة، وما زالت، قبلة لطلاب العلم منذ تأسيسها عام (**92**هـ)، وتأسيس أقدم الجامعات في العالم عام (**245** هـ) بتشييد جامع القرويين.

ولا يكتمل الحديث عن فاس دون الحديث عن عائلة "كُنون" (بالكاف المضمومة)؛ فجوالعلم والعلماء الذي كان سائدًا فيها، جعل بيوتًا كثيرة تشتهر بالعلم في تلك المدينة، وأصبحت بعضًا من هذه العوائل قبلة لطلاب العلم وباحثيه.

ويذكر المؤرخون في هذا السياق، وعلى سبيل المثال، بكثير من الإعجاب والتقدير العالم الفاسي الكنوني المشهور بـ "ابن المدني كنون" الذي أخذ العلم عن شيوخ تصل سلالتهم إلى البخاري في الحديث، وإلى الإمام مالك في الفقه، وإلى سيبويه في النحو. وهوالجد الأكبر لعلامة المغرب "عبد الله كُنون" - رحمه الله- الذي جمع بين العلم والفقه والأدب والسياسة، فكان فقيهًا وأديبًا ومناضلاً سياسيًّا ورجل دولة.

المولد والنشأة

من سلالة "ابن المدني كنون" الزكية جاءت نبتة "عبد الله كُنون" في (شعبان سنة **1326** هـ = سبتمبر سنة **1908**م) بمدينة فاس.

وكان للجوالذي خلقه الاستعمار، أن كتم الأنفاس، وأغلق أبواب العلم والتعلم، وملأ الدنيا حروبًا وفسادًا، وفي هذا الجوالخانق لم تجد عائلة "ابن المدني الكنوني" أمامها من سبيل إلا الهجرة إلى بلاد الشام؛ ففي عام (**1914**م) انطلقت تلك الأسرة إلى مدينة طنجة (شمال المغرب) على شاطئ البحر الأبيض المتوسط؛ للسفر إلى بلاد الشام، وهي تحمل معها الطفل "عبد الله" الذي لم يكن قد تجاوز بعد الست سنوات من عمره.

لكن تسببت ظروف اندلاع الحرب العالمية الأولى في إرغام أسرة كنون على التوقف بطنجة مؤقتًا في انتظار أن تضع الحرب أوزارها، ثم سرعان ما اتخذت الأسرة من تلك المدينة مستقرًا لها.

وباستقرار شئون العائلة في طنجة بدأ "عبد الله" يأخذ العلم عن والده العالم "عبد الصمد كنون"؛ ويتحدث هوذاته عن هذه الفترة في مذكراته قائلاً: "... حفظت القرآن الكريم، وزاولت قراءة العلم على مشايخ عدة... وكان مجال دراستي ينحصر في علوم العربية والفقه والحديث والتفسير، وأما الأدب فقد كان تعاطيه هواية".

كما حفظ كنون الأحاديث النبوية والمتون القديمة، وشروحات النصوص اللغوية والنحوية وحواشيها الثانوية؛ فغدا، في فترة وجيزة، عالمًا بالشريعة وأركانها، وباللغة وأسرارها، ولم يبلغ بعد عقده الثاني.

وما أن انتصف عقد العشرينيات من عمره، حتى صار "عبد الله" ذا شهرة واسعة في المغرب والمشرق، وذلك بفضل كتاباته القيمة في صحف البلاد الإسلامية، وبفضل زياراته المتتابعة لتلك البلاد.

وقد سمحت له كتاباته وزياراته تلك بالتعرف على عدد كبير من علماء المشرق وأدبائه وإعلامييه؛ ليخوض معهم نقاشات فكرية وثقافية تتناول واقع الأمة وأحوالها وسبل إخراجها من الأزمات الاجتماعية والفكرية والسياسية والاقتصادية.

كما اشتهر عبد الله كنون بالدقة في البحث العلمي، وبالصرامة في مجال رواية الوقائع التاريخية وتحليلها؛ إضافة إلى سعة معلوماته، وضبطه لفنون الأدب والتاريخ، وكان يجيد اللغتين الفرنسية والأسبانية.

حياة فكرية حافلة

علم الشيخ "كُنون" أن مقاومة الاستعمار لن تنجح إلا بتكوين جيل جديد متعلم، يعلم حقوق وطنه عليه. لذلك كان أول مشروع اشتغل عليه هوتأسيس مدرسة خاصة عام **1936**، أطلق عليها اسم مدرسة "عبد الله كنون الخاصة". وقد ساعدته في النهوض بمشروعه وضعية مدينة طنجة القانونية التي كانت خاضعة لإدارة دولية.

وشغل كنون عدة مناصب علمية وتعليمية، فشغل منصب مدير المعهد الخليفي، ثم منصب أستاذ بالمعهد العالي بكلية أصول الدين بتطوان. ثم تقلد منصب وزير العدل في الحكومة الخليفية ما بين عام **1954** و**1956**، ثم عُيِّن محافظًا على مدينته طنجة سنة **1957**. لكن وضعه كعالم كان متناقضًا تمامًا مع وضعه كمحافظ؛ لذلك ما لبث أن قدم استقالته عام **1958**.

وبين هذا وذاك، ترأس كنون مجلة "لسان الدين"، وعمل مديرًا لجريدة "الميثاق"، وساهم في تحرير مجلة الإحياء. هذا إلى جانب مساهمته في تأسيس وترأس عشرات المجلات والجرائد الأخرى والتي يصعب حصرها.

إنتاج كنون العلمي والأدبي كان غزيرًا، وشمل كتابة المقالات الصحفية، وتأليف الكتب الجامعية إلى جانب إصداره لمنشورات فكرية وثقافية طيلة فترة حياته، وهذا ما أهله ليحظى بعضوية مجموعة كبيرة من الهيئات الإسلامية، منها: المجمع العلمي بدمشق عام **1956**، ومجمع اللغة العربية بالقاهرة عام **1961**، ورابطة علماء المغرب، وهيئة القدس العلمية عام **1973**، ومجمع اللغة الأردني عام **1978**، والمجمع العلمي العراقي عام **1979**.

وحقيقة يصعب حصر المهام والمناصب التي تقلدها العالم الراحل، كما يصعب حصر المؤلفات والمنشورات التي تركها والتي تنوعت ما بين الفكر والثقافة والأدب والسياسة. والخيط الرابط بين تلك المؤلفات الدفاع عن حرمة الإسلام أولاً، وإبراز الكنوز الأدبية والفكرية التي يتوفر عليها المغرب ثانيًا.

ففي مجال الدعوة الإسلامية ألّف كنون كتاب "فضيحة المبشرين في احتجاجهم على القرآن الكريم" وهوكتاب يرد على دعاة التنصير في البلاد الإسلامية. كما ألف "الرد القرآني على كتيب: هل يمكن الاعتقاد بالقرآن"، وهوكتيب ألّفه سفير الاتحاد السوفيتي سابقًا بموريتانيا. كما ألّف "إسلام رائد"، و"مفاهيم إسلامية"، و"على درب الإسلام"، و"جولات في الفكر الإسلامي".

وفي المجال الأدبي ألف "شرح مقصورة المكودي"، و"شرح الشمقمقية لابن الونان"، و"ذكريات مشاهير رجال المغرب"، و"النبوغ المغربي في الأدب العربي"، و"أمراؤنا الشعراء"، و"واحة الفكر"، و"التعاشيب"، و"العصف والريحان"، و"أحاديث عن الأدب المغربي الحديث"، و"لوحات شعرية".

أما في مجال التاريخ والنقد، فقد ألف "مدخل في تاريخ المغرب"، و"معارك"، و"الجيش المجلب على المدهش المغرب"، و"أربع خزائن لأربع علماء من القرن الثالث عشر"، و"الشيخ أحمد زروق دفين مصراته".

وبخصوص ما حققه الراحل من كتب ومخطوطات، فنذكر منها: "المنتخب من شعر ابن زاكور"، و"مناهل في أخبار الملوك الشرفا"، و"ديوان ملك غرناطة يوسف الثالث"، و"الأربعين الطبية المستخرجة من سنن ابن ماجه وشرحها للعلامة عبد اللطيف البغدادي"، و"رسائل سعدية"، و"التيسير في صناعة التسفير لأبي بكر الأشبيلي"، و"أخبار الغار للحافظ محمد بن مخلد الدوري العراقي".

أما الكتب المنشورة بدون تحقيق والتي كانت تملأ خزانة العائلة الكنونية فنذكر منها "قوامة الإسلام للقاضي عياض"، و"تلقين الولد الصغير لعبد الحق الأشبيلي"، و"شرح الشيخ ميارة على لامية أبي المجراد"، و"رسالة نصر القبض في الصلاة للعلامة محمد المسناوي".

هذا وقد ترك الراحل عدة كتب لم تجد بعد طريقها إلى النشر، ومنها "شخصيات

مغربية" تتحدث عن **150** شخصية مغربية لمعت في شتى فنون المعرفة. إلى جانب ذلك ترك "صنوان وغير صنوان" (ديوان شعر)، و"نوادر وملح أدبية"، و"مذكرات غير شخصية".

والسابق كله مجرد غيض من فيض، وإلا فإن ما تركه الشيخ الجليل يتجاوز المائة مؤلف بحسب بعض الباحثين.

حكاية النبوغ المغربي

ويبقى كتاب "النبوغ المغربي" الكتاب الأشهر في خزانة العلامة عبد الله كنون، وهوالذي جعل اسمه يحلق عاليًا في سماء العلماء ليس فقط في المغرب، وإنما في المشرق الإسلامي وأوروبا كذلك. "لولم يكتب كنون إلا النبوغ المغربي، لكفاه ذلك فخرًا ومجدًا"، هذا ما يُصِرّ على تأكيده كل المهتمين بما تركه العلامة من كتب ومؤلفات.

ويقول كنون في مقدمته: "كثر عتب الأدباء في المغرب على إخوانهم في المشرق لتجاهلهم إياهم، وإنكار كثير منهم لكثير من مزاياهم.. ولكن أعظم اللوم مردود على أولئك.. ضيعوا أنفسهم وأهملوا ماضيهم وحاضرهم حتى أوقعوا الغير في الجهل بهم والتقول عليهم". وهذه حقيقة، فإخواننا في المشرق يعلمون القليل عن إخوانهم في المغرب في مجالات العلم والمعرفة. وحتى مع الثورة الإعلامية الحديثة يبقى هذا المشكل قائمًا وإن كانت قد خفّت حدته بعض الشيء. والأكيد كما أوضح عالمنا أن المشكل ذاتي بالدرجة الأولى؛ إذ إن التراث والكنوز ضخمة وثمينة تنتظر فقط من ينفض غبار النسيان عنها.

وهكذا بدأت حكاية العالم الراحل مع النبوغ المغربي، ويقول في مقدمة الكتاب: "لما بحثت ونقبت وجدت كنوزًا عظيمة من أدب لا يقصر في مادته عن أدب أي قطر من الأقطار العربية الأخرى، ووجدت شخصيات علمية وأدبية لها في مجال الإنتاج والتفكير مقام رفيع، ولكن الإهمال قد عفا على ذلك كله...، فاحتاج إلى من يبعثه".

وشرع الشيخ كنون، في تتبع وتسجيل كل ما يصل إليه من أخبار العلم والأدب والتاريخ، عارضًا ذلك في قالب أدبي رفيع؛ ومع مرور الوقت تشكل كتاب يحوي بين دفتيه معلومات رفيعة عن الملوك والوزراء والقواد والفاتحين والعلماء والأدباء والفقهاء والمتصوفة وغيرهم من نخبة المجتمع.

وقد أصدر كتابه هذا في مدينة تطوان (شمال المغرب) وقد كانت وقتها ترزح تحت نير الاحتلال الأسباني دون أن يبلغ الثلاثين سنة من عمره! ليترجم إثر ذلك إلى اللغة الأسبانية؛ كما اعتمده العالم الألماني "كارل بروكلمان" في ملاحق كتابه عن تاريخ الأدب العربي. وأشاد به العالم الإيطالي "جيوفاني بيانكي". إضافة إلى كون عدد من الجامعات الأوروبية اعتمدته مرجعًا لطلاب العربية فيها.

وفي عام **1939**، تلقى كنون رسالة من وزارة التعليم الأسبانية تخبره فيها أنها منحته درجة الدكتوراة الفخرية في الأدب من جامعة مدريد؛ كما دعته إلى زيارة بلادها كضيف شرف على الحكومة الأسبانية.

المفارقة في رد فعل المحتل الفرنسي الذي كان مغايرًا، إذ سرعان ما صدر قرار عسكري يمنع تداول الكتاب، ويحذر من أن كل من ثبت أنه يحوز نسخة منه سيعاقب بشدة. والسبب في ذلك، أن الاستعمار الفرنسي حاول في كل وقت وحين أن يبرز أن المغاربة هم مجرد برابرة بلا ذاكرة وحضارة، غير أن كتاب "النبوغ المغربي" فضح كل ذلك بالحجة والمنطق والدليل.

كما كان لصدور "النبوغ المغربي" أثر طيب في المشرق العربي، ويكفينا هنا ما سجله أمير البيان شكيب أرسلان في تقييمه وعرضه للكتاب نشره في صحيفة "الوحدة المغربية" التي كانت تصدر في تطوان عام **1360** للهجرة. فقد قال الأمير: إن "المؤلف جمع في كتابه بين كل من العلم والأدب والسياسة"، وأشاد "أرسلان" في الوقت نفسه ببراعة العلامة كنون وإبداعه في تصوير الحياة الفكرية في المغرب.

و"النبوغ المغربي" كتاب مزج بين الحركات الفكرية والحركات السياسية مزجًا عجيبًا حقّق الصلة الطبيعية التي لا تكاد تنفك في كل دور من أدوار الأمم بين العلم والسياسة، بحيث لا يرقى الواحد منها إلا إذا رقي الآخر برقيه.

الرحيل والإهداء

قبل خمس سنوات من وفاته، رحمه الله، أي عام **1984**، وبينما كان يعالج في إحدى المصحات بالعاصمة الفرنسية ونتيجة لهاجسه وأمله في استمرارية المشوار العلمي قرّر كنون إهداء مكتبته الزاخرة بالآلاف من المراجع النادرة والقيمة إلى مدينة طنجة. وتحققت رغبته وهوعلى قيد الحياة، حيث تم تأسيس لجنة عهد إليها باستلام جميع محتويات المكتبة، وتأسيس مكتبة عمومية حملت اسم صاحبها والتي لا تزال منارة لطلبة العلم وللباحثين عن المعرفة.

وقد تُوفّي العلامة "عبد الله كُنون" (**6** من ذي الحجة سنة **1410**هـ = **9** من يوليو**1989** م) في مدينة طنجة.

محمد العثيمين
العالم العابد

عالم موسوعي في زمان قل فيه هذا الصنف من العلماء، ورجل من الزمن القديم وجد في زماننا ليقيم الحجة على الخالفين القاعدين، كل من رآه شهد له بالزهد والورع في زمان كاد أن يختفي هذان الأمران من بين الناس بشتى صنوفهم.

هوالشيخ الفاضل والعلامة المبجل والعلامة المعروف باسم الشيخ العثيمين، أحد علماء هذه الأمة، وآية من آيات الله في التواضع مع العلم، وكبر النفس في زهد وتقى، وإعراض عن متع الحياة الفانية، سلاسة في الآداء مع سعة اطلاع تثير العجب والإكبار، مع رفق بالسائلين ورحمة ومحبة وإكرام للمتعلمين. رجل جمع بين مزايا كثير من علماء عصره فاستحق أن يكون علما من أعلام وقته وإماما من أئمة الهدى في زمانه.

نسبه مولده ونشأته

هوالإمام الشيخ العلامة الفقيه "أبوعبد الله محمد بن صالح بن محمد بن عثيمين المقبل الوهيبي التميمي". وُلد في مدينة "عنيزة"، إحدى مدن القصيم عام **1347**هـ في السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك، في عائلة معروفة بالدين والاستقامة. تتلمذ على بعض أفراد عائلته أمثال جده لأمه الشيخ "عبد الرحمن بن سليمان آل دامغ"، رحمه الله، فقد قرأ عليه القران فحفظه، ثم اتجه لطلب العلم فتعلم الخط والحساب وبعض فنون الآداب.

وكان الشيخ قد رُزق ذكاء وهمة عالية وحرصًا على التحصيل العلمي في مزاحمة الركب لمجالس العلماء، وفي مقدمتهم الشيخ العلامة المفسر الفقيه "عبد الرحمن بن ناصر السعدي"، رحمه الله. ولم يرحل الشيخ لطلب العلم إلا إلى الرياض حين فُتحت المعاهد العلمية عام **1372** فالتحق بها.

سيرته العلمية

بعد وفاة شيخه عبد الرحمن السعدي رُشح الشيخ محمد بن صالح العثيمين لإمامة الجامع الكبير، عندها تصدى للتدريس مكان شيخه. ولم يتصدى للتأليف إلا عام **1382** حين ألف أول كتاب له وهو: "فتح رب البرية بتلخيص الحموية"، وهوتلخيص لكتاب شيخ الإسلام ابن تيمية، "الحموية في العقيدة". واستغل الشيخ وجوده في الرياض بالدراسة على الشيخ "عبد العزيز بن باز"، فقرأ عليه صحيح البخاري وبعض رسائل شيخ الإسلام ابن تيمية وبعض الكتب الفقهية.

مشايخه

- الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، رحمه الله.
- الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، رحمه الله.
- الشيخ علي بن حمد الصالحي، حفظه الله.
- الشيخ محمد بن عبد العزيز المطوع، رحمه الله.
- الشيخ عبد الرحمن بن علي بن عودان، رحمه الله.
- الشيخ عبد الرحمن بن سليمان آل دامغ، رحمه الله.

منهجه العلمي

أوضح الشيخ رحمه الله منهجه، وصرّح به مرات عديدة أنه يسير على الطريقة التي انتهجها شيخه العلامة عبد الرحمن الناصر السعدي، وهومنهج خرج به عن المنهج الذي يسير عليه علماء الجريرة عامتهم أوغالبيتهم، حيث اعتماد المذهب الحنبلي في الفروع من مسائل الأحكام الفقهية والاعتماد على كتاب "زاد المستقنع" في فقه الأمام أحمد بن حنبل، فكان الشيخ عبد الرحمن السعدي معروفًا بخروجه عن المذهب الحنبلي وعدم التقيد به في مسائل كثيرة.

ومنهج الشيخ السعدي هوكثيرًا ما يتبنى آراء شيخ الإسلام ابن تيميه وتلميذه ابن القيم ويرجحهما على المذهب الحنبلي، فلم يكن عنده جمود تجاه مذهب معين، بل كان متجردًا للحق، وقد انطبعت فيه هذه الصفة وانتقلت إلى تلميذه محمد الصالح العثيمين.

مؤلفاته

خلّف الشيخ في المكتبة الإسلامية نحوخمسين كتاباً نذكر منها:

- شرح العقيدة الواسطية.
- شرح لمعة الاعتقاد.
- القول المفيد في شرح كتاب التوحيد.
- الشرح الممتع شرح زاد المستقنع.
- شرح كشف الشبهات والأصول الستة.
- رسالة في الحجاب.
- الضياء اللامع من الخطب الجوامع.
- مختصر مغني اللبيب لابن هشام في النحو.
- الخلاف بين العلماء: أسبابه وموقفنا منه.

كان الشيخ رحمه الله شديد الذكاء، متوقد الذهن، حاضر البديهة، سريع الجواب مع قوة في البيان وحسن العبارة، شغفًا بطلب العلم منذ صغره وحفظ القرآن الكريم. وفقه الله لتلقي العلم عن أئمة الهدى، وكان مُعظِمًا مُبجِلاً لشيوخه لا يذكرهم إلا بالجميل، وكان شديد الإعظام لتزكيات وشفاعات الشيخ عبد العزيز بن باز.

أدرك من العلوم حظاً لم ير في العصر الحديث أجمع للفنون منه، إن تكلم في التفسير فهوحامل رايته، وإن أفتى في الفقه فهومدرك غايته، وبرز في كل فن على أبناء جنسه، لا سيما الفقه، ولم تر العيون مثله.

أوتي علمًا وحلمًا، فكان شديد التثبت حليمًا لا تستفزه الأمور ولا يستخفه أهل الطيش والخفة والجهل، كان من أعظم الناس جاهًا عند الولاة، ولم يستعمل ذلك لحظ نفسه وعمارة دنيته، بل استعمله في قضاء حوائج المسلمين لا سيما طلبه للعلم. وكان مع ذلك عزيز النفس لا يشفع إلا فيما يغلب ظنه قبول شفاعته.

كان شديد الرعاية لطلابه وإكرامهم، وإيصال النفع والعلم إليهم كلما سنحت الفرصة حتى في حال السفر والمرض. كان على جادة السلف اعتقادًا وسلوكًا ومنهجًا، شديد التحري للسنة حتى صار علمًا عليها. وكان شديد الاعتناء بالمشهور الصحيح من الأخبار قوي النقد للمتون الضعيفة، وبيان معارضتها للكتاب والسنة.

فضائله وشمائله وأخلاقه وأحواله لا تحويها بضع وريقات، لكن هذه تعتبر تنبيهات وإشارات لفضائل علماء هذه الأمة. فلا يمكن حصر مناقبه وفضائله، وقد نذر عمره وحياته للتعليم والتدريس واحتضان التلاميذ والإنفاق عليهم، فعندما زاره الملك خالد بن عبد العزيز في بيته في عنيزة، رآه في منزل قديم ومتهالك، فأمر ببناء منزل جديد وكبير للشيخ، فلم يشأ أن يرفض عطية الملك ولكنه جعل هذا البيت وقفًا على تلاميذه، فجعله سكنًا مجانيًا لهم، ووفّر الشيخ ابن عثيمين لهم جميع أسباب الراحة، وافتتح لهم مطعمًا داخل السكن، وفرّغ لهم عاملاً يُعِدّ لهم الطعام في الوجبات الثلاث اليومية، كما هيأ لهم مكتبة حافلة بالمراجع والكتب النادرة والمخطوطات الأصلية، ومعها مكتبة سمعية من أشرطة لدروس الشيخ، وصالة للقراءة، وكان الشيخ يهتم بمتابعة طلابه لا سيما المغتربين منهم، فيخصص لهم مساعدات مالية لمواصلة مسيرتهم التعليمية.

وفاته:

تُوفّىَ بالمملكة العربية السعودية مساء الأربعاء **15** شوال **1421**هـ الموافق لـ **10/1/2001** م، بعد صلاة المغرب بجدة. ولا شك أن وفاة أمثال هؤلاء العلماء خسارة كبيرة ورزية عظيمة لا سيما في عصر تلاطمت فيه أمواج الفتن وكثرت فيه أسبابها.

عبد الله دراز
منظِّر الأخلاق القرآنية

القرآن دستور الأخلاق كما يصفه درازولد العلامة محمد عبد الله دراز بقرية محلة دياي إحدى قرى الدلتا في الثامن من نوفمبر **1894** لأسرة علمية عريقة؛ فوالده الشيخ عبد الله دراز الفقيه اللغوي المعروف الذي قدم شروحا لكتاب الموافقات للشاطبي، والذي عهد إليه الإمام محمد عبده بمهمة الإشراف على المعهد الأزهري الجديد بالإسكندرية اطمئنانا إلى علمه وكفاءته.

المسيرة العلمية

درس دراز بالأزهر وحصل على الشهادة العالمية عام **1916** وعيّن مدرسا ثم أستاذا للتفسير بكلية أصول الدين، وفي عام **1936** سافر إلى السوربون لاستكمال دراساته العليا وهناك درس على يد كبار المستشرقين مثل: ليفي بروفنسال، لويس ماسينيون، لوسن، حتى نال درجة الدكتوراه في فلسفة الأديان بمرتبة الشرف الأولى عام **1947**.

وقد تألفت رسالته من دراستين: الأولى مدخل إلى القرآن الكريم وهي دراسة تمهيدية موجزة حول تاريخ القرآن، والثانية دستور الأخلاق في القرآن الكريم وتقع في حوالي ثمانمائة صفحة، قدم خلالها رؤية متكاملة للنظرية الأخلاقية القرآنية في شقيها النظري والعملي. وإنجاز الرسالة الأساسي أنها استخلصت -للمرة الأولى- الشريعة الأخلاقية من القرآن في مجموعها، وقدمت مبادئها وقواعدها في صورة بناء نظري متماسك مستقل عن كل ما يربطه بالمجالات القريبة منه، وهوما أحدث انتقالا بها من دائرة التعاليم الوعظية التي تستهدف تقويم السلوكيات إلى الدائرة المعرفية.

لم تنل الدراسة في السوربون والاحتكاك بالمستشرقين من أزهرية الرجل العتيقة واعتزازه بثقافته وتراثه؛ فقد كان مؤمنا بأن مهمة الباحث المسلم تتجاوز إحياء التراث ووصل ما انقطع منه إلى تحديثه والإضافة إليه، ولذلك شرع قبيل وفاته في كتابة مؤلفه (الميزان بين السنة والبدعة) وأراد به أن يُحدث كتاب الإمام الشاطبي (الاعتصام) إلا أن أجله المحتوم لم يمهله أن ينجز مهمته الجليلة.

خلف دراز تراثا فكريا راقيا لم يتجاوز أربعة عشر مؤلفا تراوحت بين الكتب والبحوث، وأهم كتبه: النبأ العظيم، الدين: بحوث ممهدة لتاريخ الأديان. أما بحوثه فأبرزها: الربا في نظر القانون الإسلامي، مبادئ القانون الدولي العام في الإسلام، حول المؤتمرات العالمية للأديان. وعلى ندرتها فقد شكلت إضافات معرفية سدت فراغا في حقول الفلسفة الإسلامية وعلم الكلام وتاريخ الأديان.

معالم كتابات دراز

في مفتتح رسالته "دستور الأخلاق في القرآن" كتب دراز: "فإذا لم يأت عملنا هذا بشيء جديد في عالم الشرق والغرب فلن يكون سوى مضيعة وزحمة وإثقالا" بهذه العبارة قيد الشيخ عملية الكتابة بقيد الإتيان بالجديد والإعراض عن اجترار القديم، وأشار إلى أهم ملمح يميز كتاباته على الإطلاق، أما باقي الملامح فيمكن إيجازها على النحوالتالي:

أولا: المدقق فيما كتبه دراز يجده لم يكتب جملاً متراصة بعضها فوق بعض لا تؤدي وظيفة، إلا الوظيفة البلاغية، وإنما هوكمن شيد بناءً لا تستطيع أن تصعد إلى طابقه الأعلى دون المرور على الطابق الأسفل، ولذلك يتعذر الاستغناء عن فقرة واحدة من كتاباته، أوأن نقدم بعضها أونؤخره كما نفعل مع البعض، ذلك أن فقراته نظمت بإحكام في أنساق مترابطة؛ كل فقرة تبرهن على ما سبقها وتمهد لما بعدها.

ثانيا: غلبة الطابع التجريدي، والتجريد في أصله عملية معرفية قوامها الفصل بين ما هوجوهري وما هوثانوي وغايتها إقصاء الهامشي الذي لا يحمل دلالة بغرض الوقوف على لب الشيء وجوهره، وبفضل عمليات تجريدية متوالية توصل دراز أن القرآن يعالج موضوعين اثنين: الحق الأسمى والفضيلة، وكل ما تبقى من محتوياته ونصوصه ليست سوى وسائل لتعزيز رسالة القرآن وإعطائها وزنا أكبر.

ثالثا: في كتاباته لا يقفز دراز إلى استنتاجات أوأحكام معينة دون أن يدلل عليها ويسوغها منطقيا، والأدلة لديه بناء محكم يشد بعضه بعضا، وهي على درجات ثلاث: أدلة شرعية،

وأدلة تاريخية، وأدلة منطقية عقلية. وتكاثر الأدلة وتدرجها يعني أنه لم يكن يكتفي بسوق الأدلة القرآنية دون أن يعضدها ببراهين منطقية عقلية، فكثيرا ما أرجأ الدليل القرآني إلى ما بعد الدليل المنطقي ليحمل على الاستنتاج بأن المنطق والعقل سيقودان حتما إلى التصديق بالقرآن.

الدين والإسلام

عني شيخنا عناية خاصة ببحث مسألة العلاقة بين الإسلام وغيره من الديانات وله فيها رؤى متميزة جاءت محصلة استنباط مباشر من النص القرآني دون العروج على مؤلفات وسيطة تاريخية أومعاصرة، ونقطة البدء كانت في تحديده لمفهومي الإسلام والدين.

والإسلام كما لا حظ دراز وصف أطلقه جميع الرسل على الديانات التي أتوا بها، وليس وصفا خاصا بالإيمان بما جاء به محمد صلوات الله عليه فهواسم مشترك جامع بين الديانات السماوية "التي لم تتناولها يد الإنسان بتغيير أوتحريف" وعلى ذلك لا يصلح الإسلام لأن يكون محلا للتساؤل عن العلاقة بينه وبين الأديان السماوية إذ لا يسأل عن العلاقة بين الشيء ونفسه؛ فهاهنا وحدة لا انقسام فيها، كما يقرر دراز.

والإسلام هوالدين الوحيد المقبول، وليس هناك على وجه الأرض سوى دين واحد اعتنقه المؤمنون في جميع الأزمنة والأمكنة، وغير ذلك معناه اتخاذ موقف الرفض بل والإنكار لنصوص القرآن القطعية، ويمضي دراز موضحا أن مفهوم الدين لم يكن مفهوما ثابتا وإنما كل رسالة منزلة كانت تشكل لبنة وعنصرا في تطور المفهوم الذي اكتمل برسالة محمد الخاتمة، وعلى هذا تتساوى جميع الرسالات وكل المرسلين الذين شاركوا في كشف طبيعة ذاك الدين في الفضل، ولا يجوز أبدا لأتباعهم أن يفرقوا بينهم إذ التفريق بين رسل الله كفر، كما لا ينبغي لهم أن يفضلوا بعضهم على بعض؛ فتلك خطيئة تقوض العقيدة من أساسها وتفصم عرى الوحدة التي جعلها الله وتجعل من العواطف والهوى معيارًا للعقيدة. ويذهب دراز خطوة أبعد موضحا معالم العلاقة بين الكتب المنزلة الثلاثة؛ فيذكر أن هناك مرحلتين للعلاقة: مرحلة ما قبل التبديل ومرحلة ما بعده؛ ففي المرحلة الأولى أتى القرآن

مصدقا لما قبله من التوراة والإنجيل، وليس معنى التصديق عدم الإضافة أوالتبديل إذ جاء الإنجيل ليحل بعض أحكام التوراة كما أحل القرآن بعضا مما حرمه الإنجيل، وحسب دراز فإن هذا ليس نقضا من المتأخر للمتقدم أوإنكارًا لأحكامه وإنما هووقوف بهذه الأحكام عند ظرفيتها التاريخية المناسبة.

أما مرحلة ما بعد التبديل ففيها يتحول القرآن إلى حارس ومهيمن على الكتب السماوية السابقة، ومن مقتضيات الهيمنة ألا يكتفي بتأييد ما ورد فيها من حق وعدل وصدق وإنما يتوجب عليه إبعاد التأويلات ونبذ التفسيرات الخاطئة التي نسبت زورا وبهتانا إليها، وهوبهذا يسدي للبشرية صنيعا بحفظه تراثها نقيا كما هبط من السماء.

القرآن في سورة منه

عرف عن دراز مقارباته القرآنية التي تفرد بها عما سواه ممن سبقوه أوخلفوه، وإنجازه الأساسي أنه استطاع التوفيق بين طرفين يتعذر الجمع بينهما نظريا حين انتظمت مقارباته الآليات المنهجية (الموضوعية) والتجربة الإيمانية (الذاتية) على حد سواء فأتت طرازا فريدا في بابها، وتعد نظراته حول فاتحة الكتاب نموذجا لهذا النظم، وهي تجمل منهجه في النظر إلى النص القرآني في كليته وارتباط أجزائه بعضها ببعض، والسعي إلى الكشف عن الوحدة الكامنة فيه خلف الكثرة البادية.

نظر دراز إلى الفاتحة نظرة جديدة فلم يكتف بالوقوف عند حدود آياتها ومعانيها، وإنما نظر إليها في علاقتها بباقي سور القرآن، مفترضا أنها على صغر آياتها تجمل مقاصد القرآن الكلية، وأن بقية السور ما هي إلا تفصيل وبيان لذلك الإجمال الذي حوته.

ومقاصد القرآن كما بينها دراز، مقصدان نظريان: هما معرفة الحق ومعرفة الخير، ومقصدان عمليان تثمرهما هاتان المعرفتان؛ فثمرة معرفة الحق هي تقديسه؛ وثمرة معرفة الخير التزامه.

الآيات الثلاثة الأولى من سورة الفاتحة عالجت مسألة التعريف النظري بالحق سبحانه وتعالى وصفاته في شذرات ثلاث انتظمت أركان العقيدة القرآنية في ترتيب بالغ الإحكام: المبدأ فالواسطة، فالميعاد (التوحيد، النبوة، الجزاء) وهي تسفر واقعا عمليا هوالعبودية والاستعانة، أما الشق الثاني من السورة فيرتبط بالجانب البشري حين يعرض صور العمل الإنساني: المستقيم والضال والمنحرف ويناقشها على ضوء القيم الخلقية؛ فيجعل من الاستقامة معيارا يحدد للبشرية الصراط الذي ينبغي أن تسلكه ومن استحكمت معرفته بهذا الأصل النظري فإنه يسفر واقعا عمليا هوالهداية مصداقا لقوله تعالى: "اهدنا الصراط المستقيم".

على مستوى آخر من التحليل نظر دراز السورة من جهة أسلوب الخطاب مقارنة بعموم الخطاب القرآني؛ فوجد أنها السورة الوحيدة التي أتت على لسان البشرية على حين أتي بقية السور جاءت على لسان الربوبية ويفسر دراز الاختلاف في وجهة الخطاب إلى أن الفاتحة تجسد سؤال البشرية وحاجتها للهدي على حين أن باقي القرآن هوالهدى المطلوب.

ظل الشيخ دراز ممسكا بقلمه حتى انتقل إلى جوار ربه أثناء انعقاد مؤتمر الأديان بلاهور في يناير **1958** إذ لم يمهله الأجل أن يتلو بحثه الأخير أمام المؤتمرين فأحدث رحيله دويا هائلا وفراغا معرفيا مازال شاغرا.

محمد الشنقيطي
صاحب أضواء البيان

مع تقدُّم الزمان ومُضِيّ السنوات، تتفاقم المشكلات، وتكثر الفتن والنوازل، فتختلف الوقائع وظروفها، وتتبدّل أفهام الشعوب وعاداتها، فتزداد الحاجة لورثة الأنبياء، لكن قدَر الله قد سبق بالنفاد، فلا يمضي عام إلا وقد وارَى الترابُ عنّا ثُلّة من العلماء الأفذاذ، يذهبون ولا يسدُّ الثغر مَسَدّهم أحد.

الحاجة للعلماء لا تكمن في العلم المجرّد الذي يحفظونه في صدورهم فحسب، فهذا وإن كان مُهمًّا ضروريا فإنه إن فُقد من الصدور فقد دُوّن في الكتاب المسطور، ويبقى للعلماء فضل فكّ رموزه، وتيسيره وتبسيطه ونشره، لكن حاجتنا إلى ورثة الأنبياء فوق ذلك، فإن العالم إذا سرى العلم في عروقه، وألِفَت روحُه العلم، صار تِرياقًا لأمراض الناس، جامعا لقلوبهم، مشجّعا للمحب الراغب في الخير، مُثنيا لصاحب الشر عن شرّه، لا تُغرِه المظاهر الفاخرة عن الحقائق الكامنة، ولا تفجَؤُهُ النوازل الطارئة عما هوبصدده.

وممن جمع ذلك وزاد، وتأدّب به وتعلّم منه الحاضرُ والباد، الشيخ الدكتور محمد المختار بن الإمام الفقيه المفسر الأصولي محمد الأمين الشنقيطي (صاحب أضواء البيان) رحمهم الله جميعا.

سيرته الذاتية

حصل للصحافة لَبس وتشابه كبير في اسم الشيخ رحمه الله، وإذا تتبّعتَ ما كُتب عنه ستجد العجب العجاب، من غلط في الاسم والنسب والكتب وغير ذلك، ولذا من الضروري أن نبين للجمهور سيرة -ولومختصرة- عن الشيخ رحمه الله:

هوالشيخ العالم أبوالحسن (محمد المختار) بن (محمد الأمين) بن محمد المختار بن عبد القادر بن محمد بن أحمد نوح، الجكني، الحِميَري، الشنقيطي، المدني.

وُلد عام **1364**هـ في قرية قصاص ببلاد شنقيط ـ موريتانيا، وهاجر به أبوه إلى الحرمين الشريفين بعد ثلاث سنين، واستقرّ مجاورا في المدينة المنورة (على ساكنها أفضل الصلاة والسلام)، فنشأ في بيت علم وفقه وديانة، فأخذ عن أبيه عالم الوقت الفقه والأصول والتفسير والمنطق وغيرها، كما تتلمذ على كبار علماء العصر، ودرَس في معاهد الجامعة الاسلامية في المدينة أوّلا، ثم درَس فيها ونال البكالوريوس من كلية الشريعة عام **1396** هـ، ثم التحق بالدراسات العليا، ونال درجة الماجستير في أصول الفقه عام **1401**هـ، وقد كان عنوان الرسالة (دراسة وتحقيق لشرح مراقي السعود للمرابط بن أحمد زيدان الجكني)، ثم نال درجة الدكتوراه عام **1404**هـ، وكانت رسالته (دراسة وتحقيق لكتاب سلاسل الذهب للإمام الزركشي).

عمل أستاذا مشاركا في الجامعة الإسلامية، فدرّس التوحيد والفقه وأصوله، وأشرف على رسائل الدكتوراه في عدّة جامعات، وترأس قسم أصول الفقه في كلية الشريعة، ومن طلابه اليوم من نالوا درجة بروفيسور (أستاذ كرسي) في الجامعة الاسلامية وجامعة أم القرى وغيرها.

شارك في وضع مناهج لعدة كليات، ودخل الساحة العلمية في المدينة المنورة من أوسع أبوابها، فأقام الدورات والدروس العامة والخاصة، في المسجد النبوي ومساجد المدينة المختلفة وفي بيته، وقُرِأت عليه المختصراتُ والمطوّلات، واستمرّ بذلك إلى أن قبضه الله. وقد قرأ عليه طلابه –في آخر عشرين سنة– أكثر من **40** كتابا مطوّلا في تلك الدروس، مثل (الموافقات للشاطبي)، و(قواعد الأحكام للعزّ)، و(نثر الورود)، وغيرها.

وامتاز رحمه الله بالحلم والوقار، قد رزقه الله سكينة يجدها الجالس في درسه، وعُمقا يجده المتلقي من علمه، وصَفحا عن جفاء بعضهم، ولُطفا في التعليم وتشجيعا للطالبين، ووسطية في التديّن، لا يغضبُ من مجادلة المجادلين بل ينصت إليهم إنصات المستفيد، ويلين لهم لين الوالد الرفيق.

واستمرّ على درب التعليم – رغم كِبَر سنّه، بهمة الشباب وجدِّ وجلَد، ملتزما في دروسه

ومواعيدها، لا يغيب لغير ما ضرورة مُلحّة، وربما اعتذر لطلابه عن غيابه لاحقا!، وقصّ عليهم بعض ما جرى له في سفره- إلى أن مرض مرضا شديدا ثم وافاه أجل الله المحتوم، فأسلم الروح إلى باريها ظهر يوم الثلاثاء، الأول من ربيع الأول عام **1441**هـ في مدينة رسول الله ﷺ وفي شهر مولده، وصُلّيَ عليه في المسجد النبوي الشريف، ودُفن في البقيع.

الأصوليّ المُجِدّ

قد كان للشيخ -رحمه الله- اليد الطولى في نشر علم أصول الفقه وخدمته، وتحبيبه للطلاب وإشاعته بينهم، وإقحامه بين اهتماماتهم، وهدم الحواجز بينهم وبين كتب هذا الفنّ العظيم، -(الذي هوآلة الفقه في الدين وأدلته الإجمالية، والوسيلة للتجديد المنضبط، والتنزيل الصحيح للنصوص على الحوادث المستجدّات)ـــ فرغم التنوُّع المعرفي للشيخ في الفقه والتفسير والمنطق واللغة، إلا إنه كان يولي أصول الفقه المكانة الأبرز، ولذا اشتُهِر به ونسب إليه، فكان يقال (المختار الأصولي) للتفريق بينه وبين الشيخ (د.محمد المختار الفقيه) المدرّس المشهور في المسجد النبوي.

لقد أثبت الشيخ لطلاب العلم في هذا الزمان أن مُطوّلات العلوم عامة وأصول الفقه خاصة تُقرأ على الشيوخ، وليست المختصرات فحسب، فبعدما اقتصر كثيرون على (شرح الورقات)، أقرأ الشيخُ طلابَه وشرح لهم: (شروح المراقي)، و(روضة الناظر)، و(الموافقات للشاطبي)، و(قواعد الأحكام للعز)، و(إحكام الفصول للباجي)، و(الإحكام لابن حزم)، و(نهاية السول للإسنوي)، و(دفع إيهام الاضطراب)، وغيرها.

ولأن علم أصول الفقه يُشكّل عقل الفقيه الواعي، ويُقوّي ملَكة الطالب الناضج، فقد نجح الشيخ رحمه الله في تشكيل العقلية العلمية المتينة لدى طلابه وغيرهم، وأخرجهم من ضيق التصوُّرات الناقصة، إلى العلم المجرد عن كل شيء إلى عن الوحي.

لم يكن الشيخ نسخة مكررة عن والده الأمين كما قد يظن بعضهم، بل كان مستقلا بتفكيره

وآرائه، ولذا تجده يرجّح أحيانا خلاف قول أبيه، كمسألة المجاز فإنه يُثبته وأبوه ينفيه، وغير ذلك.

وقد كتب الشيخ عدّة بحوث في هذا المجال، وحقق عدة كتب؛ كتحقيقه لكتاب (تقريب الوصول لابن جُزَي)، وكتاب (لقطة العجلان للزركشي) و(مبلغ المأمول لابن بونا) وغيرها.

الفقيه المُرَبِّي

للشيخ رحمه الله اهتمام كبير بالفقه وفروعه، فقد قُرأت عليه مطوّلات فقهية، رأيتُ من ذلك (شرح الباجي على الموطأ)، لكنه كان يهتم كثيرا بفقه النفس، وأن يخالط الفقه والفهم حياة الإنسان وسلوكه وتفكيره، بل لحمه ودمه، وله من العبارات الرائقات التي تُنبيك عن عُمقٍ وحكمةٍ ورَوِيّةٍ الشيءَ الكثير، أنقل لكم بعضها:

كان رحمه الله يقول: (الأساليب لا تُحاكم)، ويقول لطلابّه: (ناقشوا قول الرجل ودعكم من شخصه)، ويقول: (إنكار المحسوس مكابرة)، ويقول: (الإنصاف من شأن الأشراف)، ويقول: (لا ينبغي التشنيع على العلماء)، ويقول: (تلقيب بعض الدعاة ألقابا لم يتسمّوا بها من التنابز بالألقاب المنهيّ عنه، وينبغي ذكر المسلم بأحسن أسمائه وكناه).

فهذه بعض العبارات التي تُنبيك عن طريقة تفكيره، وسلامة فطرته وذوقه، وطُهرة لسانه، وزرعه للألفة بين المسلمين، وتصغير الخلافات وتخفيفها، وهذا الذي ربّى عليه طلابّه.
ولذا كانت وفاته ثُلمة في الإسلام، حزنت عليه طيبة الطيبة وعلماؤها، ونعاه طلبة العلم والعلماء حول العالم، ومما قيل فيه:

الشيخ كان لدى الأحبّة ناصحا ... ومُربّيًا بالحب.. كُلٌ يعلمُ.
وأناقة وبساطة عاشرتُها ... في الشيخ يا ربّاه أنت الأرحمُ.
نسج الأصول من الفصول وزادها ... دُرَرُ التمكُّن فالكبارُ همُ همُ.

ست العرب
روضة أبي شامة الخاصّة

قال النبي صلى الله عليه وسلم لأَنَجَشَة الحادي: "يا أَنَجَشَة، رويدك سوقًا بالقوارير"، وبهذه الكلمة البليغة وصف النبي صلى الله عليه وسلم النساء وطبيعتهن الرقيقة وسرعة تأثرهن، وهي تشبه – على حد وصف عبد الله كنون – ما يُقال الآن في النساء من وصفهن بالجنس اللطيف أوالرقيق.

وتعد قصيدة الشاعر جرير بن عطية (ت **110**هـ = **728**م) في رثاء زوجته خالدة أم ولده حَرْزَة من أصدق ما قِيل في رثاء رجل لزوجته، وبيتها الاستهلالي خير شاهد على ما أقول:

لولا الحياءُ لعَادَني استعبارٌ * ولَزُرْت قَبْرَك والحبيبُ يُزار**

ومثله بيتا الخليفة يزيد بن عبد الملك (**101**-**105**هـ = **720**-**724**م) في رثاء جاريته حُبَابة، التي تُوفي بعدها بأيامٍ قلائل، باخعٌ نفسه على آثارها أسفًا، فكان أحد صرعى الحب:

فإنْ تَسْلُ عنكِ النفسُ أوتَدَعُ الصِّبا * فباليأسُ أسلوعنك لا بالتجلُّدِ**

وكــلُ خليــلٍ زارنــي فهــو قــائــلٌ * مـن أجلِكِ هذا هامةُ اليومِ أوغَدِ**

ويشتهر فقيه المؤرخين أبوشامة المقدسي (ت **665**هـ = **1267**م) بكتابه ذائع الصيت "الروضتين في أخبار الدولتين النُّورية والصّلاحية"، الذي قصد به التأريخ لدولتي نور الدين محمود الزّنكيّ وصلاح الدين يوسف الأيوبيّ، وهي تسميةٌ كلاسيكية؛ شبّه أبوشامة فيها حكم ذينك الملكين بروضتين مقارنة بصحراء عصره التي لا رياض فيها إلا لخَلَف هذين الملكين ولمن ارتضى من أميرٍ؛ فقد ساد التطاحن والتباغض بين الأيوبيين أنفسهم، ووقع الأمر نفسه بين بقايا الزنكيين وبعضهم بعضًا. وبجانب هاتين الروضتين الخياليتين، كانت لأبي شامة روضةٌ حقيقية يتفيأ ظلالها ويقطف ثمارها تمثلت في زوجته أم ولده أبي الهدى أحمد، ست العرب ابنة شرف الدين محمد بن علي بن ذنوالقرشي الأندلسي المُرسي، وهي عقيلة حرّة قُرشية من بني عبد الدّار بن قُصَي، عادت أسرتها من الأندلس، وحطت رحالها بدمشق.

تزوج أبوشامة ثلاث مرات، تُوفيت زوجته الأولى، وطلق الثانية، أما زوجته الثالثة فهي ست العرب القرشية الأندلسية سالفة الذكر، تزوجها سنة **645**هـ وهي في الرابعة عشر من عمرها، فأنجبت له بعد موت ابنه أبي الحرم محمد من زوجته الأولى سنة **643**هـ وهو في الثامنة والنصف من عمره، وكان أحب أبنائه إليه، ثلاثة أولاد، هم: أبوالهدى أحمد سنة **653**هـ، وقد جاء بعد أن أكثر أبوشامة من الدعاء بأن يرزقه الله ولدًا ذكرًا، ثم أبوالعرب إسماعيل سنة **658**هـ، ثم أبوالقاسم محمود سنة **661**هـ.

وفي حوادث سنة **655**هـ ذكر أبوشامة في تاريخه المعروف بـ "المذيل على الروضتين"، قصيدة تتكون من ستة وأربعين بيتًا، كتبها لزوجته ست العرب، أباح لها فيها بحبه الكبير، وعدّد فيها صفاتها، وكان أبوشامة أيامئذٍ قد اعتزل التدريس في المدارس الشافعية ولزم بيته، فهنا دب دبيب الحب في قلبه، وتمتع بعذوبة حديث زوجته، وذكائها الساحر، وكان قد مر على زواجهما عشر سنوات – أي إنها كانت قد بلغت الرابعة والعشرين، وهوقد قارب السادسة والخمسين –، ففي خريف عمره اشتعل قلبه حبًّا. وبتدوينه لهذه القصيدة في "مذيله" تحدى أبوشامة تقاليد العصر الذي كان علماؤه يخفون مشاعرهم ولا يفصحون بها في حياتهم العامة ولا الخاصة، ولا يسمحون لأحد أن يطلع على داخل بيوتهم من خلال مصنفاتهم أوأشعارهم.

أورد أبوشامة في هذه القصيدة فضائل زوجته ست العرب الخَلْقية والخُلُقية، وسوف يعلم القارئ للقصيدة أنها من أصدق ما قاله رجل بعفويةٍ في مدح زوجته، استهلها بقوله:

مُكَمّلةُ الأوصافِ خُلْقًا وخِلْقَةً * فأهلًا بها أهلًا وسَهْلًا بها سَهْلا**

ثم ذكر أن زوجته بها من خصال الخير ما حيّر العقل؛ فهي كاملة بين النساء، فليس لها منهن شبهًا، بل إنها فوق المقارنة مع غيرها، ومدح كلامها فقال إنها عديمة لفظ وصموت؛ فلا قطعًا ترد ولا وصلًا، حتى إنها لا ترد على مَنْ يطرق باب بيتها، فيطيل الوقوف ولا جواب، فكلام الأجنبي لديها محرم وإنْ قَلّ:

يَعِزُّ على مَنْ يطرُقُ البابَ لَفْظُها * جوابًا فلا عَقْدًا تراه ولا حَلّا**

يُطيلُ وقوفاً لا يُجَابُ مُحَرّمٌ * عليها كلامُ الأجنبيّ وإنْ قَلّا**

كما أنها تنتقي كلامها فلا ترى لها لفظة إلا في محلها، وليس في كلامها لُثْغَةٌ، فألفاظها دُرٌّ تُنَضّد أوأَغْلى، وهي صغيرةُ سنٍّ غير أنها في الكلام كبيرةٌ؛ فهويتغزل فيها – لكن ليس كتغزل عمر بن أبي ربيعة – ولِمَا لا وهي من أرومةٍ حجازية، وأهل الحجاز معروفون بالدلال، لذلك يُقال: "دَلُّ حجازي".

وتحدّث عن مشيتها، فقال إنها عديمة الالتفات إذا مشت، ولا ينكشف منها بنانٌ؛ فتحار مَنْ تمشي معها في حفظها يدها، فما بالك بجوارحها الأخرى:

ولم يَنْكشِفْ منها بَنَانٌ يحارُ مَنْ * مشى معها من حِفظِها يدَها فَتْلا**

وأثنى على أدائها المتقن لأي عملٍ تقوم به، فقال إنها متقنة تتقن القول والفعل، وتحفظ ماله، ومدبرة في نفقات بيتها مما جعل العِدَى يعدون ذلك منها بخلًا. وتعمل في بيتها بدأبٍ ولا تكل؛ فهي خطّاطة ماهرة، ومُطرِّزة وخيّاطة بارعة، وتقضي وقتها في التنقل بين أعمال بيتها، فتكنس تارة، وتطبخ تارة، وتغسل تارة أخرى، مع أن في بيتها خادمة، لكنها اعتادت على أداء الأعمال بنفسها. زد على ذلك، أسلوبها الطيب في التعامل مع أهل بيتها، فهي مربية حنانة على الأطفال، وذات رحمة؛ "فكل يتيم واجد عندها فضلًا"، كما أنها ألوف لأهلها، مدارية لهم إنْ عتبت، وإنْ أحبت فلا حقد لديها ولا غِلّ، لذلك قال إنه بعد عشر سنوات من زواجه بها لم يقل أُفٍّ لديها ولا كلّا، كما أنها لا تذم أكلًا ولا شُرْبًا؛ فهي:

ملازمةٌ للشُغلِ في البيتِ دائبًا
على صِغَرٍ من سِنّها لا تني فِعْلا
مُطَرِّزَةٌ خطّاطَةٌ ذَهَبِيّةٌ
مُفَصِّلَةٌ خيّاطةٌ تُحْكِمُ الغَزْلا

أما عن تدينها وعلمها، فذكر أنها حافظة للغيب، صالحة، قانتة، صوّامة، عفيفة، حَصَان رَزَان، من المحصنات الغافلات، تتأسى بأمهات المؤمنين في التزام بيتها فلا تخرج إلا لضرورة ملحة، فقد قال إن أترابها كُنّ:

يَشُرْنَ عليها بالبروزِ تَفَرُّجًا
فتأبَى وقَعْرُ البيتِ في عَيْنِها أحلَى

كما أنها أديبة فصيحة، ذكية أريبة، تفهم ما يُلقى لديها وما يُتلى، وهمتها عالية فإذا رأت شيئًا لا تعرفه صممت عليه حتى تحتويه. ثم بعد أن عدّد خصالها الحميدة، قال:

وأحسنُ مِنْ ذا كلِّه أنّ هذه الـ * خصائلَ طَبْعٌ لم تُكَلَّفْ بها حَمْلا**

وتعويذة لأوصافها الحميدة من أعين الحاسدين، أنهى أبوشامة قصيدته قائلًا:

ولكـنّ فيهـا نُفْـرَةً وتَغَضُّبـًا * وسُرْعةَ غَيْظٍ عند لَفْظٍ لها يُعلَى**
فوالله ما أدري أذلكَ مُسْقِطٌ* مناقبَها عند الحسودِ لها أَمْ لا؟**

فمما يُؤخذ عليها أمور أربعة: النُّفرة، والغضب، وسرعة الغيظ، وعلوصوتها عند غضبها، وهي صفات لا تنفك منها أية امرأة، لكنها مع ذلك رقيقة قلب، وخفيفة رُوح، وسريعة دمع العين، ومُدِلّة بعقل.

وحقيق بالذكر أن أبا شامة هوالمؤرخ الوحيد الذي تحدّث عن زوجته هذا الحديث الجميل، مع أنه فقيه ومُفتٍ كبير، وهذه مزية فريدة لم نعهد مثلها من قبلُ، بل حتى بين أقرانه من المؤرخين والفقهاء؛ فمعاصره المؤرخ والقاضي ابن واصل لم يتطرق لحياته الخاصة في كتابه "مُفرِّج الكُروب" برغم أنه تعرض مرارًا لأخباره وأسفاره، إلا أنه لم يشر إلى أمر زواجه على الإطلاق، مما جعل الدكتور جمال الدين الشيال يرجح أنه لم يتزوج.

وباستثناء أبي شامة، فنحن لا نعلم عن زوجات أحد من المؤرخين شيئًا، اللهم إلا ومضات خاطفة عن ولع ابن الجوزي بزوجته خاتون بنت عبدالله، أُم ابنه محيي الدين يوسف – مؤسس المدرسة الجوزية المشهورة بدمشق –، فلم يذكر ابن الجوزي ذلك في تاريخه "المنتظَم"، غير أن سِبْطَه أبا المظفر يوسف بن قزأوغلي نوّه بذلك؛ فقد ذكر أن جده تُوفّي ليلة الجمعة ثاني عشر شهر رمضان سنة **597**هـ ثم بعده بيوم وليلة (أي يوم السبت) تُوفيت زوجته المذكورة، فتعجب سبطه، فقد رآها في الليلة التي مات فيها جده في عافيةٍ وقائمة ليس بها مرض، فعدّ الناس ذلك من كرامات ابن الجوزي؛ لأنه كان مغرًى بزوجته هذه في حال حياته.

وبسبب هذه القصيدة الفريدة في تراثنا لم يسلم أبوشامة من سهام النقد؛ إذ صدمت معاصريه ومَنْ جاء بعدهم؛ لمعانيها التي رأوها مبتذلة لا تليق بجلال الشعر كما عرفوه؛ فقد قال صلاح الدين الصفدي: "وقد نَظَم الشيخ شهاب الدين أبوشامة رحمه الله تعالى قصيدة تناهز الأربعين بيتًا في زوجته، فسمج - عفا الله عنه - فيها ما شاء، وبرد ما أراد".

ويتفق إبراهيم الزِّيبق مع الصفدي في أن بضاعة أبي شامة الشعرية في هذه القصيدة مزجاة، لكنه يرى أن لها قيمةً نادرة؛ إذ تصور لنا بتفصيلٍ دقيق جانبًا من حياة المرأة العادية إبان العصر الأيوبي، وهي تغسل وتطبخ وتطرز، وترعى ولدها وزوجها، بلفظٍ معبِّر وعفوية آسرة.

فلا غروَمَنْ كانت تلك صفاتها أن تحلّ من أبي شامة محلّ الرُّوح من الجسد، فلعمري إنها لزوجة من الحور العين!

محمد الندوي
عالم وأديب شبه القارة الهندية

فقد العالم الإسلامي العلامة الهندي محمد واضح رشيد الحسني الندوي وهوشخصية علمية بارزة في الدعوة الإسلامية، اهتم بتأصيل الوعي الإسلامي في شبه القارة الهندية، وله مشاركات قيمة ومشهودة في العصر الحديث، ضمن جهود علماء الهند في تطوير اللغة العربية وآدابها وعلومها.

وقد جاءت الإشادة بمساهمات الشيخ محمد رشيد - رحمه الله - بحكم انتسابه إلى (ندوة العلماء لكهنؤ) وذكرت المدونة الخاصة بالشيخ رشيد "لا يختلف اثنان أن ندوة العلماء لكهنؤ بالهند قد عنيت في العصر الحديث باللغة العربية عناية لا تبلغ مبلغها شقيقاتها في العناية والاهتمام، لأن مؤسسيها قد ركّزوا عنايتهم بتطوير اللغة العربية كتابة وتحدثاً وخطابة وصحافة، وتدريسا، وكثير من أبناء ندوة العلماء.. ومن أبناء ندوة العلماء الموجودين المكثرين من الكتابة باللغة العربية وآدابها أستاذنا الفاضل الأستاذ السيد محمد واضح رشيد الندوي حفظه الله ورعاه، الذي وهبه الله ملكة خاصة في الكتابة باللغة العربية، وهوأحد الأعلام البارزين المعاصرين الذين لهم سمعة طيبة في الأوساط الدينية والعلمية والاجتماعية داخل الهند وخارجها".

مولده ومسيرته العلمية

ولد الشيخ محمد واضح رشيد الحسني رحمه الله في دائرة الشيخ علم الله الحسني ببلدة رائي بريلي في ولاية أترابراديش الشمالية في الهند، وهوابن أخت العلامة أبي الحسن علي الندوي والأخ الشقيق للشيخ محمد الرابع الحسني الندوي.

تلقى محمد واضح رشيد الندوي مبادئ القراءة والكتابة في المدرسة الإلهية براي بريلي، ثم دخل دار العلوم ندوة العلماء حيث تعلم اللغة العربية ووسّع ثقافته الأدبية والإسلامية، ونال شهادة العالمية وتخصص في الأدب العربي وتخرج فيها عام **1951**م، ثم أنهى دراسته الثانوية في المدرسة الرسمية، والتحق بجامعة عليكره الإسلامية لمزيد من الدراسات،

وحصل على شهادة الليسانس في اللغة الإنجليزية.

ومن أساتذته الكبار سماحة العلامة أبوالحسن علي الندوي والأستاذ محمد ناظم الندوي والأستاذ عبد الحفيظ البلياوي، وهم الذين غرسوا فيه حبه للغة العربية وشجعوه على ممارسة الكتابة فيها، وقد ساعده على ذلك توفيقٌ إلهيٌ واضح في ميدان تخصصه في الأدب العربي والتاريخ والنقد العربي والحضارة الغربية هذا بجانب اهتمامه بقضايا الفكر الإسلامي والغزوالفكري.

حياته العملية

بدأ محمد واضح رشيد الندوي حياته العملية في إذاعة عموم الهند بدلهي مذيعا ومترجما من الإنجليزية إلى العربية، وظل في وظيفته حتى سنة **1973**م. وكانت هذه الفترة تمثل مرحلة فاعلة في مشوار حياته، إذ سنحت له الفرصة لدراسة العلوم السياسية والاجتماعية، ووسّع ثقافته الإنجليزية ومعرفته بسياسة الغرب ومزايا مجتمعاته والمشاكل التي تعيشها وما طرأ عليها من ثورات وانقلابات وأفكار مما كان له أثره في الحياة الإنسانية المعاصرة. هذا بالإضافة إلى نهوضه بترجمة المقالات والبحوث العلمية والأدبية والسياسية والفنية التي تمت إذاعتها من دلهي وعدد من محطات الإذاعات إلى العربية.

وبهذه الثروة الضخمة والتجارب المُحكمة رجع إلى دار العلوم ندوة العلماء عام **1973**م، حيث نهل العلوم وانخرط في سلك التدريس فيها أستاذا للغة العربية وآدابها، وخلال ذلك عين عميدا لكلية اللغة العربية وآدابها بدار العلوم، كما عمل مديرا للمعهد العالي للدعوة والفكر الإسلامي، ثم تولى عام **2006**م رئاسة الشؤون التعليمية لندوة العلماء، وذلك إثر وفاة رئيسها السابق الدكتور عبد الله عباس الندوي.

المناصب التي تولاها

شغل الأستاذ محمد واضح رشيد الندوي رحمه الله تعالى عدة مناصب إدارية وعلمية

ومنها:

- الأمين العام المساعد لمجلس أمناء رابطة الأدب الإسلامي العالمية.
- سكرتير المجمع الإسلامي العلمي بندوة العلماء.
- عضو مجمع أبي الكلام آزاد بلكهنؤ.
- عضوالهيئة الاستشارية لدار العلوم بستي.
- الرئيس العام لمدرسة فلاح المسلمين، أمين نجر، رائي بريلي.
- نائب رئيس دار عرفات، رائي بريلي.

وله مشاركات علمية ملحوظة في شتى المناسبات داخل الهند وخارجها، وقد اشترك في الندوات والمؤتمرات التي أقيمت في القاهرة وعمان ولاهور وطشقند ومكة المكرمة وجامعة أُكسفورد والرياض والمدينة المنورة وإستنبول، وقد تشّرف بالحصول على جائزة الرئيس الهندي التقديرية، وذلك تقديرا لجهوده الطيبة في مجال الأدب العربي الهندي واعترافا بشخصيته البارزة.

وأنتج الشيخ محمد واضح رشيد الندوي رحمه الله تعالى خلال مسيراته العلمية وحياته الدعوية مؤلفات دعوية، وتربوية وعلمية قيمة تزدان بها المكتبة الإسلامية، ومن أعماله المشهورة:

- فضائل القرآن الكريم.
- فضائل الصلاة على النبي الكريم صلى الله عليه وسلم.
- الدين والعلوم العقلية، وهوترجمة لكتاب في الأردية، عنوانه: "مذهب وعقليت" ومؤلفه الشيخ عبد الباري الندوي، ونالت الترجمة العربية شهرة فائقة حتى إنها نشرت مرارا من دار ابن حزم، بيروت.
- الدعوة الإسلامية ومناهجها في الهند.
- حركة التعليم الإسلامي في الهند وتطور المنهج.

- تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي.

هذا بالإضافة إلى عدد من المقالات المنشورة التي نشرتها له مجلة ثقافة الهند الصادرة عن المجلس الهندي للعلاقات الثقافية بدهلي، ومجلة البعث الإسلامي بعنوان "صور وأوضاع" ومقالات وافتتاحيات لصحيفة الرائد.

الشيخة "ضوء الصباح"
إحدى عجائب زمانها في علم الحديث

هناك بعض الشخصيات التي تعتبر ذاكرة للأمة، وشاهدة على العصر الذي يعيشون فيه؛ وذلك لطول عمرهم، ولتعاقب الأحداث الجليلة عليهم، ولوعيهم الكامل لما يدور حولهم، ولتبوئهم المكانة العالية في مجتمعاتهم مما جعلهم مؤثرين فيمن حولهم، كل ذلك يجعل من دراستهم وتسليط الضوء عليهم أمرًا هامًّا؛ لأنهم يعتبرون تاريخًا يسعى على قدمين.

ومن تلك الشخصيات التي حفر اسمها على جدران التاريخ، ولمع نجمها في سماء زمانها المسندة ضوء الصباح.

الاسم والميلاد

هي الشيخة المعمرة المسندة عجيبة بنت الحافظ أبي بكر محمد بن أبي غالب بن أحمد بن مرزوق الباقداري البغدادي، وتدعى ضوء الصباح.

ولدت في صفر سنة أربع وخمسين وخمسمائة.

ولكل واحد من اسمه نصيب، فهي -بحق- عجيبة من عجائب زمانها في علم الحديث، وكانت ضوء الصباح الذي بدد ظلمات الجهل، وأنار الطريق لطلبة العلم على مدى عقود متعاقبة.

وقد وهم صاحب "كشف الظنون" في اسمها والتبس عليه الأمر فقال: "ضوء الصباح عجيبة وتدعى: لامعة بنت الحافظ أبي بكر: محمد بن أبي غالب: أحمد بن مرزوق الباقداري".

والشيخة عجيبة لم تُدع "لامعة"، ولامعة هذه هي "ضوء الصباح بنت المحدِّث أبي بكر المبارك بن كامل الخفّاف. واسمها: لامعة، وقيل: نور العين.

ولدت سنة ثلاث وثلاثين. وسمّعها أبوها من: عمر بن حَمد البندنيجي، وأبي سَعْد أحمد بن محمد البغدادي، وأبي غالب محمد بن الداية، والأُرْموي، وجماعة.

روى عنها: الدبيثي، وابن خليل، وغيرهما. وتوفيت في ذي الحجة".

والشيخة عجيبة ربيبة بيت علم فأبوها هو"محمد بن أبي غالب بن أحمد بن مرزوق بن أحمد الباقداري البغدادي الضرير المحدث، الحافظ أبوبكر.

ذكره ابن الدبيثي الحافظ، فقال: انتهى إليه معرفة رجال الحديث وحفظه، وعليه كان المعتمد فيه.

وقال أبوالفتوح نصر بن الحصري الحافظ: كان آخر من بقي من حفاظ الحديث الأئمة. قال الدبيثي: سمعت غير واحد من شيوخنا يذكرون أبا بكر الباقداري، ويصفونه بالحفظ ومعرفة الرجال والمتون، مع كونه ضريرًا مقصورًا، إلا أنه كان حفظة، حسن الفهم.

بلغني: أن ابن ناصر كان يراجعه في أشياء، ويصير إلى قوله.

وقال الحافظ عبد العظيم المنذري: كان أحد حفاظ بغداد، المشهورين بمعرفة الرجال، والمتقدم مع ضرره، حدث وخرج.

قال ابن أبي حاتم: كتب إلى أبي، وإليّ، وهو صدوق.

توفي أبوبكر الباقداري لخمس بقين من ذي الحجة سنة خمس وسبعين وخمسمائة، وهوفي سن الكهولة. ودفن بالشونيزية، بتربة مقبرة أبي القاسم الجنيد".

النشأة

فهذا الرجل سقاها من نمير العلم شرابًا زلالاً، ولم يمل إلى الرأي الذي يعزل المرأة عن

العلم بدعوى أنها لم تخلق إلا للغزل والنسج، فكان أبوالعلاء المعري يوصي بالنساء فيقول:

علموهن الغزل والنسج والرد * ن وخلوا كتابة وقراءة**
فصلاة الفتاة بالحمد والإخ * لاص تجزئ عن يونس وبراءة**

ولم يكن أبوها الحافظ أبوبكر يذهب للرأي الذي يقول: لا تخرج المرأة من بيت أبيها إلا إلى بيت زوجها، ثم إلى القبر. فهذا رأي مرفوض والأمثلة تؤكد أن هذا الرأي لم يكن سائدًا بين المسلمين.

وقد نشأت هذه الشيخة الجليلة في حاضرة العلم والعلماء في "بغداد" عاصمة الخلافة الإسلامية، تلك المدينة التي يفد إليها طلاب العلم من كل حدب وصوب، وكذلك الشيوخ الأجلاء والعلماء الأعلام.

ورغم أن الأمة الإسلامية كانت من الناحية السياسية ضعيفة حيث التشتت والتشرذم وتكالب الأمم عليها؛ فالفرنجة في قلب العالم الإسلامي في الشام، والتتار على البوابة الشرقية عند بلاد خوارزم (أفغانستان)، والتناحر والتشاجر السمة الغالبة بين ملوك وسلاطين المسلمين، إلا أن العلم كان ما يزال في عنفوانه؛ فبنظرة عجلى على الشيوخ والعلماء الذين عاصرتهم ضوء الصباح نجد منهم: ابن عساكر، وابن الجوزي، وابن الأثير، والفخر الرازي، والآمدي، وابن الصلاح، والعز بن عبد السلام... إلخ.

وكلهم ممن كانوا ولا يزالون نبراسًا في سماء العلم والعلماء.

وقد مات أبوها ولم تتجاوز الحادية والعشرين من عمرها.

وقد عاصرت أحداثًا جسامًا؛ فقد اكتحلت عينها بفرحة النصر الذي حققه الناصر صلاح الدين الأيوبي بفتحه بيت المقدس سنة **583**هـ.

شيوخها

ذكر أهل التاريخ والتراجم أنها تتلمذت على نخبة من العلماء النجباء في عصرها؛ فقد "سمعت من أبي الحسين بن يوسف"، وعبد الله بن منصور الموصلي، وعبد الحق اليوسفي، وأجاز لها أبوعبد الله الرستمي، ومسعود الثقفي، وكانت خاتمة من روى عنهما، وأبوالخير الباغبان وابن عمه أبورشيد، وهبة الله بن أحمد الشبلي البغدادي، ورجاء بن حامد المعداني، وروت عن فخر النساء شهدة، وعدة.

نبوغها في العلم

لقد فاقت ضوء الصباح الرجال في طلب العلم، بل إن أخاها لم يكن مثلها في طلب العلم، قال الذهبي عن محمد أخيها: "مات أبوه وهوصبي، فاشتغل بالمعيشة. وتوفي في الكهولة ولم يحتج إلى مسموعاته.

قال ابن النجار: ومن العجب أنه لم يروشيئًا البتة".

ولم تتلق العلم دون تمحيص ونقد؛ فقد ضعفت شيخها مسعود الثقفي.

وقد امتدحها الذهبي بنبوغها فقال: "من أسند شيوخ بغداد. سمّعها، واستجاز لها الكبار".

تفردها في الدنيا بالإجازة عن جماعة

وهذا مما شهد به العلماء الأجلاء، حيث كانت البوابة الوحيدة للرواية عن جماعة من العلماء، مما جعلها قبلة لطلبة العلم الذين يطلبون علم هؤلاء الجلة من المشايخ، قال الذهبي والصفدي: "تفردت في الدنيا بالإجازة عن جماعة".

شهرتها

هناك من العلماء من حباه الله العلم، ولكنه لم ينل حظه من الشهرة، وهناك من رزقه الله العلم والشهرة، ومن هؤلاء عالمتنا؛ فقد شهد لها المؤرخون بذلك، ويأتي على رأس هؤلاء الذهبي فقال: "شيخة مسندة مشهورة".

تلامذتها

لم تحتجب ضوء الصباح عن أحد من طلبة العلم قصد بابها، فبذلت الوقت والجهد لنشر العلم بتعليم الناس الخير، ومن أجل ذلك وفد إليها الطلاب من العراق والشام وغيرها، وهي بذلك تحسب أنها تقع تحت قول رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- الذي أخرجه البخاري من طريق أَبي مُوسَى، عَنْ النَّبِيِّ × قَالَ: "مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنْ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتْ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتْ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتْ الْمَاءَ فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لا تُمْسِكُ مَاءً وَلا تُنْبِتُ كَلأً فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ".

فهي قد "حدث عنها المحب عبد الله وموسى بن أبي الفتح، وأحمد بن عبد الله بن عبد الهادي المقدسيون، والشيخ عبد الصمد المقرئ، ومحمد بن أبي بكر الجعفري، وعبد الرحيم بن الزجاج، ومحمد بن عبد المحسن الواعظ، وجماعة.

وقد أجازت -أيضًا- لمحمد الباجدي، وبنت الواسطي، وجماعة.

وتفردت عنها الشيخة زينب بنت الكمال بالإجازة؛ فروت عنها الكثير في سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة، بل وفي سنة سبع وثلاثين، وفي سنة تسع وثلاثين".

الدين والصلاح

قد يؤتى أناس العلم ويحرمون العمل به؛ فالعمل ثمرة العلم، وقد يمتن الله -تبارك وتعالى- على بعض عباده فيجمعون بين الحسنيين: العلم والعمل، وكانت عالمتنا من هذا الصنف قال الذهبي: "وكانت امرأة صالحة".

من مروياتها

قال الذهبي: "أنا ابن البالسي، عن عجيبة، أنا عبد الله، أنا ابن الطيوري، أنا الحسين الطناجيري، أنا أحمد بن إبراهيم البزاز، نا نفطويه، نا محمد بن عبد الملك، ثنا يزيد بن هارون، نا محمد بن مطرف، عن حسان بن عطية، عن أبي أمامة، أن النبي × قال: (الحياء والعي شعبتان من الإيمان، والبذاء والبيان شعبتان من النفاق)".

آثارها

"روي عنها أحاديث شتى وكثير من تصانيف البغوي وغيره".

"ومن مسموعها: الثاني من حديث أبي أحمد حسينك من يحيى بن ثابت البقال، و(مختلف الحديث) للشافعي من عبد الحق اليوسفي، و(تاريخ البخاري الكبير) من عبد الحق -أيضًا"(**23**). وخرجوا لها (مشيخة) في عشرة أجزاء".

وفاتها

انطفأت تلك الشعلة بقدر الله -تبارك وتعالى- في صفر سنة سبع وأربعين وستمائة، وقد تحملت ثلاثًا وتسعين سنة، ولوطال بها المقام بضع سنين لرأت ما يشيب من هوله الولدان؛ حيث سقطت حاضرة الخلافة بحصونها ومكتباتها، وذُبِّح الجميع، ولم ينج إلا من كتب له النجاء، وذلك عندما هجم المغول على بغداد وأسقطوها سنة **656**هـ.

جمال الدين الألوسي
العالم الذي فاز بجائزة نوبل قبل تأسيسها

محمود شكري بن عبد الله بن محمود بن عبد الله بن محمد الألوسي. وهوأحد علماء أهل السنة في العراق ومن المتمسكين بمنهج السلف الصالح ومن أحد الشخصيات البارزة في العالم العربي والإسلامي، حبه لطلب العلم بدأ منذ صغره، وأخذ إجازات العلم من الكثير من علماء بغداد.

هوجمال الدين أبوالمعالي محمود شكري بن عبد الله بهاء الدين بن أبي الثناء شهاب الدين محمود الحسيني الألوسي البغدادي رحمه الله، من سادات آل البيت، ولد في رمضان **1273**هـ، وجده صاحب التفسير الشهير. تأثر بمؤلفات ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله تأثراً بالغاً، وإلى ذلك أشار كامل الرافعي بقوله: **"**لم أرَ أحداً يقدر مؤلفات ابن تيمية وابن القيم قدرهما مثلهما**"** (أي محمود شكري وابن عمه على الآلوسي).

نزعته العقلانية سبب محنته!!

جاهد محمود شكري الألوسي في نشر الحق والرد على الباطل، فشن غاراته على الخرافات المتأصلة في النفوس فكتب الرسائل وألف المؤلفات التي زعزعت أسس الباطل وأحدثت دوياً وإصلاحاً عظيماً. وارتفع صوته كمصلح ديني يدوّي في المطالبة بتطهير الدين مما لحقه من أوضار البدع.

لكن نزعته السلفية العقلانية ومحاولاته الاصلاحية، ومحاربة الخرافات والبدع، وترويجه لمؤلفات ابن تيمية، أصطدمت بالحزب الصوفي المسيطر على الدولة العثمانية آنذاك، وكعادة المصلحين والمجاهدين يبتليهم الله بخصومة المشركين وأهل البدع والحاسدين، فذهبوا يُشنعون عليه، ويرمونه بتهم شتى منها: أنه يبث فكرة الخروج على السلطان، ويؤسس مذهباً يناصب كل الأديان، وأن تأثيره سار بين الناس، فأغروا والي بغداد (عبد الوهاب باشا) ...فصدر الأمر بنفيه وابن عمه ثابت نعمان الآلوسي والحاج حمد العساقي النجدي إلى الأناضول. فلما وصلوا للموصل قامت قائمة الموصليين لأن الذين أمر بنفيهم

من أعلام العراق الكبار، وأن في الموصل عدد كبير من العلماء وطلبة العلم السلفيين، فطلبوا من السلطان الصفح. فصدر العفوعنهم وعادوا منصورين بعد أن مكثوا شهرين في الموصل. فكتب الشيخ عبد اللطيف بن ثنيان في صحيفته "الرقيب": "الحمد لله عاد الحق لأهله".

كانت للألوسي مجالسا في مساجد بغداد للوعظ والأرشاد. خصوصا جامع الإمام الأعظم الواقع في الأعظمية، حيث أستمر إماما وخطيبا في جامع أبوحنيفة لمدة أربعين عاما، ولقد درس في مدارس بغداد وتخرج على يديه نخبة من العلماء، وممن تأثر بفكره وعلمه العلامة محمد بهجت الأثري، والشيخ رشيد حسن الكردي، والشيخ محمد القزلجي، والشيخ علي بن حسين الكوتي والشيخ الأمام أمجد الزهاوي وغيرهم من خيرة علماء العراق، وكذا تخرج على يده جملة من أدباء وشعراء العالم العربي منهم الشاعر معروف الرصافي، والكاتب واللغوي العراقي الأب أنستاس الكرملي.

أخذ محمود شكري بنزعة عقلانية عالية جعلته أقرب لدعاة السلفية الاصلاحيين في عصره مثل محمد رشيد رضا والأمام محمد عبده، وجمال الدين القاسمي. وقد وصفه رشيد رضا بأنه "ناصر السنة، قامع البدع، علامة المنقول ودراكة المعقول، دائرة المعارف الإسلامية، نبراس الأمة". عاش حياته بين التدريس والتأليف، وساهم بأنشاء وتحرير أول جريدة في بغداد أسمها "الزوراء". كذلك ساهم في امداد المقالات والبحوث لمجلات مثل "المقتبس" و"المشرق" و"المنار" و"مجلة المجمع العلمي العربي".

العالم الذي يخط مؤلفاته بخطه

كان محمود شكري يخط مؤلفاته بخطه، وهوخطاط بارع من أئمة الخط العربي في بغداد، وأخذ إجازة الخط من والدهِ وفي خطه روعة وجمال وكان يخط على قاعدة ياقوت المستعصمي، ومن آثاره كتب ومخطوطات كثيرة لا زالت في المكتبة القادرية، وقد تخرج على يديه الكثيرون من الخطاط.

ومن كتبه المهمة كتاب "غاية الأماني في الرد على النبهاني"، وفيه يتناول المسائل المتنازع عليها بين دعاة التجديد السلفي ومعارضيهم، مع ميل للدفاع عن ابن تيمية كلما سنحت الفرصة. كما كان له فضل كبير في نشر مؤلفات ابن تيمية وابن القيم الجوزية نشرا وطبعا وتحقيقا.

ويعد محمود الألوسي بكل هذا النشاط واحدا من دعائم مدرسة التجديد السلفي. وكانت له صلة أيضا بجمال الدين الأفغاني، صاحب فكرة التجديد في الإسلام.

بعض من مؤلفاته

كانت كتبه الدينية الإصلاحية هي مدار دعوته وتميزه في بغداد، فقد سعى من خلالها للدفاع عن العقيدة الإسلامية أمام شوائب الشرك والبدع التي عمت العالم الإسلامي. وهذه بعض عناوين الكتب التي ألفها:

- غاية الأماني في الرد على النبهاني
- بلوغ الأرب في أحوال العرب" (الذي حصل فيه على جائزة من ملك السويد، وهي نفس الجائزة المعروفة اليوم بجائزة نوبل).
- منهاج السنة وبهامشه بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول، وكلاهما لشيخ الإسلام ابن تيمية، طبع بمصر سنة **1321**هـ.
- جواب أهل العلم والإيمان لابن تيمية، طبع بمصر سنة **1322**هـ.
- تفسير سورة الإخلاص لابن تيمية، طبع بمصر سنة **1323**هـ.
- مفتاح دار السعادة" لابن القيم، طبع بمصر سنة **1323**هـ.
- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، لابن القيم، طبع بمصر سنة **1323**هـ.
- تأويل مختلف الحديث، للإمام ابن قتيبة، طبع بمصر سنة **1323**هـ.
- تاريخ مساجد بغداد وآثارها.

- عقوبات العرب في الجاهلية

- تاريخ نجد، الذي كتبه عقب زيارته لنجد بتكليف من الدولة العثمانية، عرف فيها بنجد وأهلها ودافع عن عقيدتهم وأنها عقيدة السلف الصالح وليس كما يدعي أعداؤهم وخصومهم.

- الدر اليتيم في شمائل ذي الخلق العظيم صلى الله عليه وسلم.

- كنز السعادة في شرح كلمتي الشهادة.

- الدلائل العقلية على ختم الرسالة المحمدية.

"الألوسية" تعيد لبغداد مجدها العلمي

يقول الكاتب الأردني أسامة شحادة أن علامة العراق أبوالمعالي أعاد وعائلته الألوسية لبغداد، عاصمة الخلافة، مجدَها العلمي الذي عرفته في أيام عزها، وذلك بدروسه المتميزة ومؤلفاته القيمة وتحقيقاته الثمينة، ولكن للأسف لم يلقَ أبوالمعالي (وعائلته) ما يستحقونه من التكريم والتقدير، لا في حياته ولا بعد مماته، ومن ذلك أن سيرته لم تدوّن بشكل واف، ولا تزال بحاجة لمزيد من البحث والتنقيب وإظهار ما فيها من جهود مباركة في الإصلاح والتأسيس للصحوة الإسلامية.

تعلم الألوسي اللغتين التركية والفارسية، وعددا من العلوم الدنيوية كعلم الهيأة (الفلك)، ولم يكتف بذلك بل قام بمطالعة مئات الكتب والمخطوطات الموجودة بمكتبات بغداد، فتكونت له معرفة موسوعية ظهرت في كتبه وتحقيقاته، وكانت أولى مظاهر موسوعيته كتابه العجيب "بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب".

بدأ التأليف وعمره **13** سنة! وتصدى كذلك للتدريس مبكراً، فكان أول تصنيف لأبي المعالي الألوسي وعمره **21** عاماً وذلك سنة **1294**هـ وهوكتابه "الروضة الغناء شرح دعاء الثناء". ولم ينتظر أبوالمعالى التكليف بالتدريس على عادة زمانه، فباشر بالتدريس متطوعا بدون راتب في داره وفي جامع عادلة خاتون، حيث درّس علوم اللغة والشريعة لجمع من الطلبة.

جائزة "العرب قبل الإسلام"

يقول أسامة شحادة إنه في عام **1302**هـ/ **1886**م تلقى الألوسي رسالة من أمين سر لجنة اللغات الشرقية عن مسابقة يرعاها ملك السويد والنرويج لتأليف كتاب عن تاريخ العرب قبل الإسلام، فتردد الألوسي في خوض التحدي خوفا من الاعتقاد بحرصه على الجائزة القيمة (**1778** فرنكا ذهبيا)، لكن أصدقاءه حثوه على ضرورة إعلاء شأن العرب، فشمر عن ساعد الجد وصنف كتابه "بلوغ الأرب" الذي جاء في **3** مجلدات وأنهاه في عام **1304**ه، وكان المميز في كتابه أنه جاء على غير مثال سابق ولا منهج مطروق مع صغر سن المؤلف الذي بالكاد كان في الثلاثين من عمره حين باشر بتأليفه!

وبرغم تقدم العديد من الشخصيات من بلاد مختلفة للمسابقة إلا أن التفوق والفوز كان من نصيب الألوسي حين أعلنت النتائج في عام **1307**هـ، فشاع ذكره وارتفع صيته، وتمت ترجمة الكتاب للتركية. وقد تفنن الألوسي فيه بجمع أخبار وعادات العرب قبل الإسلام مما يدل على شرف معدنهم وقوة أخلاقهم مما جعلهم مؤهلون لقيادة العالم تحت راية النبي صلى الله عليه وسلم حين بعث للعالمين كافة.

وقد فتح فوزه بهذه الجائزة عليه باب التواصل بالزيارة والمراسلة مع الكثيرين من العلماء وطلبة العلم من مختلف دول العالم والتي جمعها الألوسي في كتاب ضخم سماه "رياض الناظرين في مراسلات المعاصرين" وسبقه كتاب "بدائع الإنشاء" جمع فيه بعض رسائل أبيه، ثم بعض مراسلات العلماء والأمراء والأدباء له.

مرضه ووفاته

أصيب الألوسي برمل في المثانة سنة **1337**هـ فأهمله، حتى اشتد عليه في سنة **1341**هـ فانقطع عن التدريس مدة، ثم عاود التدريس فهزل جسمه وتعب قلبه، وفي العشر الأواخر من رمضان سنة **1342**هـ أصيب بذات الرئة، وبعدها بأيام توفي عند أذان الظهر وحوله كتب العلم، رحم الله الآلوسي وألحقه بالصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

وقد دفن بمقبرة الشيخ الجنيد وكانت له جنازة مهيبة، وصُلي عليه في نجد صلاة الغائب، ورثاه العلماء وأهل الفضل والدعاة الذين كانت له صلات مع كثير منهم، وقد رثاه العلماء والأدباء والشعراء:

رثاه الشاعر العراقي معروف الرصافي بقصيدة منها:

محمود شكري فقدنا منك حبر هدى * للمشكلات بحسن الرأي حلالا**

قد كنت للعلم في أوطاننا جبلاً * إذا تقسّم فيها كان أجبالاً**

ورثاه تلميذه محمد بهجة الأثري بقصيدة منها:

بغدادُ قد أقفرت من بعد مصرعه * فقلقل الركبُ عن بغداد أهبالا**

هذي المدارس أضحت وهي باكية * من بعد شيخ بنى الآداب أطلالا**

جمعية البلاغ الثقافية

Al-Balagh Cultural Association

IslamOnline.net

إسلام أون لاين.نت

/ISLAMONLINE /ISLAMONLINE_NET

@ISLAMONLINE /ISLAMONLINE

islamonline.net/apps

لأي إستفسار

500 44 304

T : +974 44 56 7777 F : +974 445 67766 P.O.Box : 22212 Doha-Qatar

Email : info@islamonline.net Web : balaghcs.org

جمعية البلاغ الثقافية

Al-Balagh Cultural Association